



السُّبُلَاتُ الْخَارِجِيَّةُ فِي عَصْرِ الضُّبُاطِ



السِّيَرَةُ الْخَارِجِيَّةُ فِي عَصْرِ الضُّبَّاطِ

الدكتور محمد راجوادی

السُّبُلُ الْخَارِجِيَّةُ فِي عَصْرِ الضَّبَّاطِ





الطبعة الأولى

2020 - 1442

ISBN 978-625-7682-11-4



هذا الكتاب

نقدم في هذا الكتاب قراءة متأنية لبعض ملامح السياسة الخارجية المصرية في عهد ٢٣ يوليو من خلال نصوص مهمة صورت أحداثا محددة وكثفت الضوء على سياقات مهمة لهذه السياسة بعيداً عن المداخل النظرية والمدخلات المتعمدة، أو المرسومة سلفاً ، وهي إذاً قراءة في روايات وتصورات وتحليلات تتناول جزئيات من جوانب السياسة الخارجية على نحو مباشر أو غير مباشر ، لكنها تبيّن في النهاية عن طبيعة الأداء المصري في هذه السياسة في ذلك العصر ، كما أنها محاولة لقراءة ما وراء السطور و ما بينها من المعاني والدلالات التي هي أقرب ما تكون إلى تصوير غير مباشر، وإلى تحليل ، كيميائي أو مناعي، يرسم طبيعة النتيجة ويفسرها في ضوء طبيعة المقدمات .

وهكذا فإن كتابنا هذا يناقش حيثيات مختلفة في التعبير والتأويل، بعضها حفظ بالتبريد وبعضها حفظ بالتقييد ، فهكذا كان القدامى يسمون ما نسميه الآن التسجيل والتوثيق ، وهم يقصدون تحويل النصوص الشفاهية الى نصوص مكتوبة قابلة للحفظ وكأنهم قد قيدوها حتى لا تضيع أو تطير أو تتطاير ، ولا شك في أن بعض هذه الحثيات قد استدعته الذاكرة ، وأن بعضها استدعته العلاقات الخفية بين الاحداث ، وأن بعضها استدعته المحن، وأن بعضها استدعته الإحن التي تعبر عن نفسها حين تجد الفرصة ، لكن هذه الحثيات جميعا ظلت قادرة على ان تتصافر في عقل المتلقين من أمثالنا ، وأن تتأزر بهذا التصافر لتصنع صورة موحية بنمط نادر من صورة قادرة على التعبير عن تلك السياسة التي حكمها في عدد غير قليل من الأحيان التخبط بأكثر من حكم التخطيط ، وحكمتها المصادفة بأكثر من حكم المصادقة ، وحكمها الاندفاع بأكثر من الانتفاع ، وحكمتها الدافعية بأكثر من حكم الواقعية ، وحكمها العصاب بأكثر مما حكمها التعصب ، وحكمها الذهان بأكثر مما تحكم فيها الذهن .

يستقصي هذا الكتاب بعض ملامح السياسة الخارجية في عصر ٢٣ يوليو ويتناول موضوعه هذا من خمس زوايا، فيبدأ الزاوية الأولى (أو الباب الأول) بفصلين قصيرين ومركزين عن حدود علاقة العسكريين بالدبلوماسية في عهد ٢٣

يوليو وهو استعراض ثاقب أو خاطف، أي أنه ليس خاضعاً وليس مستغرقاً ، لكنه حريص على أن يحيط بالموضوع إحاطة سريعة ترسم حدوده ومعالمه ومبدأه ومنتهاه من أجل إثارة الذهن في اتجاه العمل على بلورة ما يمكن وصفه بأنه الملامح الأكثر عمومية في السياسة الخارجية المصرية في عهد العسكريين.

و تتمثل الزاوية الثانية في الفصل الثالث الذي نقدم فيه قراءة فاحصة للمذكرات الأولى للدكتور الدكتور بطرس غالي التي نشرت تحت عنوان الطريق إلى القدس مع تأمل في طبيعة أدائه للدور الذي وجد أن عليه أن يؤديه تحت رئاسة العسكريين بعد أستاذيته الجامعية.

وتتمثل الزاوية الثالثة في الفصل الرابع الذي يقدم قراءة في مذكرات واحد من أبرز الدبلوماسيين العسكريين وهو السفير صلاح شعراوي الذي قدر له أن يحضر مواقف فاصلة في موسكو وقبرص واليونان وان يكون من كبار المسؤولين في ديوان الوزارة في وقت من الأوقات.

وتعرض الزاوية الرابعة في الفصل الخامس قراءة متأملة في إحدى المهمات التي قام بها أحمد حمروش كشيوعي بارز في الاتصال بالانقلاب السوداني الشيوعي الذي شارك الرئيس أنور السادات نفسه مع الرئيسين معمر القذافي وجعفر النميري في اتخاذ القرار بإعدام قاداته .

وتقدم الزاوية الخامسة في الفصلين السادس والسابع نظرة مستوعبة إلى الأسلوب التسجيلي في المذكرات الذي اتبعه وزيران للخارجية توليا بعد هذا منصب الأمين العام للجامعة العربية، وكيف قادهما اعتمادهما على المساعدات الكبيرة التي استعاننا بها على كتابة المذكرات إلى ضياع كثير مما كان متاحا من ملامح الطعم والمذاق و الدقة في مذكرات عمرو موسى ، وإلى ضياع كثير من ملامح شخصية السياسات والتوجهات والأحداث في مذكرات أحمد أبو الغيث فإذا نحن على الرغم من الإمكانيات نواجه مذكرات أقل بكثير من أية مذكرات عابرة تقصها أو تستحضرها أية ذاكرة مجهدّة للتدليل على صواب ما تعتقد في صوابه، أو قيمة ما ترنو إلى الانحياز إليه .

يجدر بنا في هذه المقدمة ألا نغفل عن أن نشير إلى أننا كتبنا سيرة حياة الدكتور محمود فوزي في كتابنا "أسرى السلطة" الذي يضم سيرة أربعة رؤساء وزراء مدنيين.

و يجدر بنا في هذه المقدمة ألا نغفل عن أن نشير إلى أننا تدارسنا مذكرات اثنين من وزراء الخارجية هما كمال حسن علي، وإسماعيل فهمي في كتابنا مذكرات وزراء الثورة ١٩٩٤ الذي صدرت طبعته الموسعة ٢٠٠٩ بعنوان أهل الثقة وأهل الخبرة.

ويجدر بنا أيضا في هذه المقدمة ألا نغفل عن أن نشير إلى أننا تناولنا منذ أكثر من عشرين عاماً مذكرات خمسة من قادة الدبلوماسية في كتابنا "من أجل السلام.. معارك التفاوض" والذي عرض لمذكرات الدكتور أحمد عصمت عبد المجيد ، و محمود رياض ، ومحمد إبراهيم كامل ، وحسين ذو الفقار صبري و محمد عبد الوهاب العشماوي.

ويجدر بنا رابعا في هذه المقدمة ألا نغفل عن أن نشير إلى أننا تناولنا أيضا بالدرس مذكرات أربعة من الضباط الذين مروا في مسيرتهم بالدبلوماسية و السياسة الخارجية ، وذلك أننا تدارسنا مذكرات الوزيرين السفيرين محمد حافظ إسماعيل وأمين هويدي في كتابنا "الأمن القومي لمصر" ، كما تناولنا مذكرات الوزير السفير أحمد طعيمة في كتابنا "عسكرة الحياة المدنية" ، كما تناولنا مذكرات الوزير السفير ثروت عكاشة في كتابنا "أهل الثقة وأهل الخبرة" .

وفي كل هذه المقاربات كنا حريصين كل الحرص على أن نُعنى بصورة مصر على نحو ما قدمتها ممارسة هؤلاء المسؤولين قبل آرائهم، كما كنا حريصين على استشراف المستقبل بأخذ العبرة من نتائج تجاربهم الماضية بإخفاقاتهم ومغامراتهم قبل مصادفاتهم ونجاحاتهم.

ولهذا كله فإننا نرجو الله سبحانه وتعالى أن يجعلنا دوما قادرين على تقديم ما ينفع الناس من العلم بالسياسة في مستوياتها المتقدمة التي لا ينصلح الحال من دون توجيهها على نحو ذكي وطموح.

أدعو الله سبحانه و تعالى أن يجعل عملي هذا خالصا لوجهه الكريم ، وأن ينفع به ، وأدعوه جل جلاله أن يوفقني إلي تقديم ما تبقى من أعمالي ، وقد طال العهد بتجاربها الطبيعية في ظل غربتي ومرضي و تشردي و استيحاشي ، والوقت لا يسعني، والجهد يتضاءل، والذكاء يخبو ، و الألمعية تنطفئ ، والقلب يئن ، والنظر يكل ، والعقل يتشتت ، والذاكرة تتبدد ، و السهل يتعقد ، والنفس يتقطع ، والأمل يتضعع، والعمر قصير، والواجب كبير ، والمؤجل كثير ، لكن رجائي يتضاعف في فضل الله جل جلاله وكرمه.

والله سبحانه وتعالى أسأل أن يقيني شر الهوى، وأن يقيني شر التعجل، و شرور العجز و الكسل و الوهن ، وأن يقيني شر الانخداع، وأن يرزقني الغنى والهدى والعفاف والتقى، وأن يتجاوز عن سيئاتي، وأن يتغمدي برحمته، وأن يديم عليّ توفيقه، وأن يجعلني قادرًا على شكر فضله.

والله سبحانه وتعالى أسأل أن يمتعني بسمعي وبصري وقوتي ما حييت، وأن يحفظ عليّ عقلي وذاكرتي وحدسي و ذائقتي، وأن يجعل كل ذلك الوارث مني.

والله سبحانه وتعالى أسأل أن يهديني سواء السبيل، وأن يرزقني العفاف والغنى، والبر والتقى، والفضل والهدى، والسعد والرضا، وأن ينعم عليّ بروح طالب العلم، وقلب الطفل ، وإيمان العجائز، ويقين الموحدين، وإخلاص المؤمنين ، وعطاء المحسنين ، وشك الأطباء، وتثبت العلماء ، وخيال المبدعين ، وتساؤلات الباحثين.

والله سبحانه وتعالى أسأل أن يعينني على نفسي، وأن يكفيني شرها، وشر الناس، وأن ينفعني بما علمني، وأن يعلمني ما ينفعني، وأن يمكنني من القيام بحق شكره وحمده وعبادته، فهو وحده الذي منحني العقل، والمعرفة، والمنطق، والفكر، والذاكرة، والصحة، والوقت، والقدرة، والجهد، والمال، والقبول، وهو جلّ جلاله الذي هداني، ووفقني، وأكرمني، ونعمني، وحبب فيه خلقه، وهو وحده القادر على أن يتجاوز عن سيئاتي وهي ، بالطبع ، وبالتأكيد : كثيرة ، ومتواترة ، ومنتامية، فله سبحانه وتعالى - وحده - الحمد، والشكر، والثناء الحسن الجميل

د. محمد الجوادي

الباب الأول : العسكريون والدبلوماسية

الفصل الأول : تصورات القيادات العسكرية للسياسة الخارجية

سُئلت ذات مرة عن موضوعات حية وغير مطروقة و مفيدة للمستقبل تصلح للتسجيل لدرجة الدكتوراه في التاريخ على أن تكون لها علاقة مباشرة بالسياسة في عهد ٢٣ يوليو ١٩٥٢ فطلبت مهلة ليومين فقط وُعدت بعدها فقدمت قائمة من الموضوعات كان أول موضوع فيها هو هذا العنوان "رؤية العسكرية للدبلوماسية المصرية: وقد وضعت له عنوانا موازيا هو "رؤية العسكريين للسياسة الخارجية المصرية"، وغني عن البيان أن العنوان الثاني اشمل لكنه يتطلب من الإثبات ما يصعب الوصول إليه في ظل غياب وثائق الاجتماعات التي تعقد على مستوى عال ينتهي إلى إقرار مثل هذه السياسات إن كانت تقرر قضية جماعية، أما الدبلوماسية فأولها معروف وآخرها معروف، وليس هناك مجال كبير لتجهيل الوقائع فيها.

سُئلت عن مصادر ضابطة لحركة الايقاع في مثل هذا الموضوع أي يمكن بها معرفة تاريخ عرض المناقشة، أو دورانها فأجبت بأن الصحافة رغم كل المآخذ عليها تبقى في المحل الأول، ثم يأتي ما يمكن أن يكون متوافراً عن اجتماع اللجان البرلمانية الخاصة بالشئون الخارجية أو بالشئون العربية أو بالأمن القومي.

أضفت أن مصادر وزارة الخارجية في الدول الأجنبية ووثائقها ربما تكون حاسمة لمعرفة ما عرضناه من رؤيتنا القومية على نحو ما هو معروف من تسجيل الوثائق البريطانية لوجهات نظر كبار قادتنا على مدى عصر الاحتلال ، لكن هذا يتطلب حصر الموضوع في قضية أو قضايا محددة وليس الحديث على السياسة الخارجية على وجه العموم. رأى الأساتذة الذين ناقشوني في الفكرة أن الأمر ربما يصبح واسعاً ومتسعا و بلا ضفاف سواء كان بحراً أو بئراً أي سواء كان صغيراً أم كبيراً ومع هذا فإنه يستحق العناء.

بعد عودتي من هذا اللقاء سألت نفسي ماذا تفعل لو أنك دُعيت للحديث في هذا الموضوع في ندوة سريعة لا يستغرق حديثك فيها أكثر من ثلث ساعة كالعادة في عصرنا ، وبدأت أفكر بجدية في الخطوط العريضة لرؤية العسكريين لسياسة الخارجية فوجدتُ بعض الأفكار المهمة وبعض الأفكار الساذجة المصاحبة لها تطفو على سطح ذاكرتي من قبيل:

نُصادق من يصادقنا ونُعادي من يعاديننا

وهي جملة كان الرئيس جمال عبد الناصر يقولها بانتشاء الحكيم، وأدركت أن هذه الجملة تخرج برؤية قادتنا للسياسة الخارجية من خانة الفعل إلى خانة رد الفعل.. وأنا مهما دافعنا عن خصوصية الفكرة وعمومية الإرادة فإن الشواهد الحية من مواقفنا الخارجية ستؤيد فكرة "الانفعال" أو "رد الفعل" في سياستنا الخارجية.

ثنائية التقدمية والرجعية

وهي ثنائية حاسمة كانت تجعلنا نقف تلقائياً مع كل ثورة أو كل انقلاب ضد كل ملكية أو ضد أي نظام قديم مستقر، ومن العجيب أن غرامنا بالانقلابات كان يدفعنا إلى التضحية بمصالحنا على نحو ما هو الحال في ثورة الفاتح من سبتمبر ١٩٦٩ في ليبيا .

التخفي في إظهار انتمائنا للإسلام

على الرغم من حرصنا على الحديث عن العروبة والقومية العربية وما كان هذا يستتبعه من العناية بالدين الأول لهذه القومية ، وهو الإسلام ، فإننا كنا حريصين على الدوام على الوقوف في الصف المعادي للإسلام.

العداء الفطري للزعامة الوطنية

كان هذا هو الأصل الحاكم للعلاقات الناصرية تجاه أي زعيم وطني حتى و ان تم الترحيب به والاعتراف بالخجل بزعامته لكن هذا العداء الخفي كان يتلاشى مؤقتاً إذا أصبحنا على خلاف مع الحكام، وفي هذا الصدد فإننا لم نتحدث بحماس عن

المهدي بن بركة إلا بعد أن اختلفنا مع الملك الحسن الثاني ولم نتحدث عن صالح بن يوسف إلا بعد أن اختلفنا مع الرئيس الحبيب بورقيبة.

الفصل بين المذاهب والدولة

لم يكن ممكناً تأصيل مثل هذا الفكر الذي وصفناه فيما سبق إلا بالاعتماد على الأسلوب الجدلي المتظاهر بالتحليل المفروق بين المبادئ والأشخاص ، وذلك من قبيل القول بنعم للسوفييت ولا للشيوعية ، وذلك بديلاً عن السياسة السابقة التي كانت تقول لا للشيوعية ولا للشيوعيين.

شراء الإعلاميين لا الإعلام

وذلك من خلال التعامل مع مؤسسات الصحافة مهما كان شأنها بالشراء (المعنوي أو عن طريق المجاملة المفرطة للمسؤولين عنها بالاستضافات والهدايا وليس الشراء المادي الصريح) وكان الاعتقاد ان هذا الكسب الكبير و المهم لسياستنا الخارجية يتحقق بالشراء لا بالإقناع.

قلب مهمة السفراء الأجانب

وذلك بالعمل الجاد وبكل الوسائل على توظيف السفراء الأجانب لعرض رؤية الدولة المصرية والتوافق معها وبحيث يتحول السفير الماراثوني (مثلاً) إلى سفير مصر لدى (ماراثونيا) وليس سفير (ماراثونيا) لدى مصر.

توظيف المراسلين الأجانب كعملاء

أي تحويل المراسلين الصحفيين الأجانب إلى مكون ومورد من مكونات وموارد الدولة العميقة حتى لو اقتضى هذا تزويدهم بمعلومات تجعلهم يظهرون امام دولهم كمصادر متفوقة في الحصول على المعلومات.

الفصل الثاني : العسكريون و المناصب الدبلوماسية

أبو الثوار الذي عين سفيرا في موسكو

- عين الفريق عزيز المصري سفيرا في موسكو عقب قيام الثورة لأسباب تكتيكية كان منها أن يبقى بعيدا عن القاهرة و المجتمع الغربي فيها .

عضو مجلس قيادة الثورة

- عبد المنعم أمين الذي عين سفيرا في هولندا ثم ألمانيا.

العسكريان اللذان توليا قيادة الخارجية ثم أصبحا سفراء

- حسين ذو الفقار صبري الذي عين وكيلا لوزارة الخارجية ثم نائبا للوزير و عضوا في مجلس الوزراء ثم مستشارا للرئيس ثم عين سفيرا
- محمد حافظ إسماعيل الذي عين وكيلا لوزارة الخارجية ثم عين سفيرا ثم أصبح وزيرا للدولة ومستشارا للأمن القومي و عاد فعمل سفيرا.

الأربعة الأوائل الذين بدأ بهم تعيين القادة سفراء

- كمال عبد النبي الذي عين سفيرا في باريس
- عبد الحميد غالب الذي عين سفيرا في بيروت
- عبد الحميد صبور الذي عين سفيرا في السعودية ثم ليبيا
- محمود سيف اليزل خليفة الذي عين سفيرا في الخرطوم

العسكريون السفراء الذين بدأوا من وظيفة السفير مباشرة

العسكريون الذين تولوا الوزارة ثم أصبحوا سفراء

- أحمد طعيمة الذي كان وزيرا للأوقاف و عين سفيرا في الأرجنتين.
- محمد محمد توفيق عبد الفتاح الذي كان وزيرا للشؤون الاجتماعية فأصبح سفيرا في سويسرا.

- كمال رفعت الذي كان نائباً لرئيس الوزراء فأصبح سفيراً في لندن.

كبار القادة الذين خرجوا من القيادة الكبرى لمنصب السفارة

- اللواء علي نجيب شقيق الرئيس محمد نجيب الذي كان قائداً لقسم القاهرة (أي قائد المنطقة المركزية) فعين سفيراً في سوريا .
- الفريق سعد الدين متولي كبير الياوران الذي عين سفيراً في تشيكوسلوفاكيا في ١٩٧١
- الفريق سعد الشاذلي رئيس الأركان الذي عين سفيراً في لندن ثم في البرتغال .
- الفريق حسن أبو سعدة رئيس هيئة العمليات الذي عين سفيراً في لندن .
- الفريق محمد لطفي شبانة قائد القوات الجوية
- الفريق علاء بركات قائد القوات الجوية
- الفريق فتحي الشاذلي قائد قوات الدفاع الجوي
- أحمد حسن الفقي الذي عمل سفيراً في الهند ثم نائباً لوزير الخارجية

الضباط الأحرار الذين عينوا سفراء

- أحمد أنور الذي كان قائداً للبوليس الحربي (الشرطة العسكرية) فأصبح سفيراً في إسبانيا.
- أمين شاكر مدير مكتب عبد الناصر الذي عين سفيراً في الاتحاد الأوروبي.
- مجدي حسنين المسؤول عن مشروع مديرية التحرير الذي عين سفيراً في تشيكوسلوفاكيا.

قادة المخابرات الذين عينوا سفراء

- أمين هويدي وكيل المخابرات الذي عين سفيراً في المغرب وفي العراق.
- اللواء أحمد عبد السلام توفيق مدير المخابرات العامة الذي عين سفيراً في الصين.

- محمود أمين نمر الذي عمل سفيراً لمصر في الكويت (١٩٨٩) ، بعد أن كان مديراً للمخابرات الحربية ثم مديراً للمخابرات العامة . -

العسكريون الذين بدأوا من درجات دبلوماسية متعددة

- تضم هذه المجموعة عدداً أكبر دخلوا السلك الدبلوماسي في درجات أقل من درجة السفير وتدرجوا بسرعة أو ببطء حتى أصبحوا سفراء، ومن هؤلاء:
- محمود رياض الذي عين مديراً لإدارة فلسطين ثم أصبح سفيراً في سوريا ومندوباً دائماً في الأمم المتحدة، ثم أصبح وزيراً للخارجية في مارس ١٩٦٤ .
- ثروت عكاشة الذي عين ملحقاً عسكرياً في باريس ثم أصبح سفيراً في روما قبل أن يصبح وزيراً للثقافة والإرشاد القومي في أكتوبر ١٩٥٨ .
- السفير صلاح شعراوي وقد عمل سفيراً بالمكسيك و ألمانيا الشرقية
- السفير محمد بسيوني الذي أصبح سفيراً لمصر في إسرائيل.
- محمد حمدي أبو زيد الذي عمل سفيراً لمصر قبل أن يصبح وزيراً للطيران المدني .

العسكريون الذين بدأوا من أول السلك الدبلوماسي

- جمال منصور الذي بدأ السلك من بداياته حتى أصبح وكيلاً أول لوزارة الخارجية بعدما عمل سفيراً في ألمانيا الاتحادية.

عسكريون سفراء

- زكريا العادلي عمل ملحقاً عسكرياً في تركيا ثم سفيراً في الصين والهند والسويد
- سعيد عبد العزيز حليم الذي كان مديراً لمكتب زكريا محيي الدين ، عمل سفيراً بالفاتيكان
- عبد الفتاح شبانة عمل سفيراً بساحل العاج
- عيسى سراج الدين عمل سفيراً بالهند والدنمرك و الجزائر و فنزويلا

الباب الثاني : الأكاديمي في رحاب العسكريين

الفصل الثالث : طريق مصر إلي القدس مذكرات بطرس غالي

نجح الدكتور بطرس غالي في أن يكتب كتابا عظيما يستحق عن جدارة وصف ابن رشد لكتابه الأشهر في الفقه الإسلامي الذي سماه «بداية المجتهد ونهاية المقتصد»، وهكذا جاء كتاب الدكتور بطرس غالي فيما يتعلق بالموضوع الذي يتناوله، وبالهدف الذي يتناول من خلاله موضوع كتابه .

الجمع بين أسلوب مرشد القافلة و الحادي

يتناول الدكتور بطرس غالي السنوات الأربع الأولى من التفاوض المباشر مع إسرائيل من خلال مذكراته الشخصية، وهو يمضي بنا في الطريق ويحدثنا في الوقت ذاته عن انطباعاته وإحساساته وذكرياته في كل خطوة من هذا الطريق.. كأنه المرشد الذي يقود القافلة، وكأنه في الوقت نفسه الحادي الذي يتولى التخفيف عن الركب بما يصطنع من أغان قادرة علي أن تضبط الإيقاع وتقضي علي التشتت .

وقد نجح الدكتور بطرس غالي في أن يجعلنا نلم بتفاصيل كثيرة تتعلق بالموضوع، كما نجح في أن يجعلنا نلم بهذه التفاصيل دون أن يفرض علينا مقدمات فلسفية طويلة في بداية كل فصل، ومن دون أن يدفعنا دفعا إلي اتجاه معين وهو يقرأ علينا ما حدث، وعندني أن القيمة الحقيقية لكتاب الدكتور بطرس غالي لا يمكن إدراكها إلا إذا تصورنا غيره وهو يكتب التجربة ذاتها، عندئذ نستطيع أن نتبين إلي أي حد كان الدكتور بطرس غالي حاذقا ومجتهدا ومجيدا وهو يكتب قصة هذه السنوات الأربع (أكتوبر سنة ١٩٧٧ - أكتوبر سنة ١٩٨١) عبر صفحات هذا الكتاب.

مقارنة الدكتور بطرس غالي بالصحفي المشهور ترجح كفة بطرس كثيرا ولنا أن نقارن ما كتبه الدكتور بطرس غالي في هذا الكتاب بما كتبه صحفي مشهور عن أية فترة من الفترات التي شارك فيها من وراء ستار في اتخاذ القرار، أو في تبرير اتخاذ القرار. وسوف ندهش عندما نجد نتيجة المقارنة تميل تماما لصالح بطرس غالي، رغم كل احتراف الصحفي المشهور، بل ورغم تفرغه تماما لأداء وظيفة الكتابة، ورغم كل الإمكانيات التي يتم توفيرها له من أجل ما يكتب ..

عبارات مركزة ومشعة بالتعبير

وفي الحق أننا حين نتأمل في نصوص هذه المذكرات نجد عبارات الدكتور بطرس غالي مركزة ومشعة بالتعبير، علي حين تجد عبارات الصحفي المشهور ميالة إلي الإسهاب ومتجهة إلي الإيحاء بديلا عن التعبير .
كما أن ذلك الصحفي ينطلق مع الأحداث وقد أجهدت الأحداث نفسيته وقلمه، أو هكذا يريد أن يصور لنا الأمر، ولكن الدكتور بطرس غالي يمضي مع الأحداث وهي لا تكاد تجهده أبدا، إنما هو محتفظ بالقدرة علي التنفس الطبيعي لا يلهث أبدا ولا يفغر فاه أبدا، علي حين أن ذلك الصحفي لا يكتفي بأن يفغر فاه ، وإنما هو حريص كل الحرص علي تحريك فكي قارئه ، بحيث يبدو وكأنه فغر فاه هو الآخر .

يقرأ الأحداث متباعدة ولا يستعمل الحكمة بأثر رجعي

وعلي حين أن الدكتور بطرس غالي يقرأ الأحداث علي نحو ما حدثت متباعدة ومتفرقة وغير مترابطة، فإن الصحفي المشهور يصمم علي أن يبذل الجهد تلو الجهد في ربط الأحداث ببعضها ، حتي وإن كان هذا رغم أنف هذه الأحداث، ولا يكف هذا الصحفي عن استعمال الحكمة بأثر رجعي، ومع ذلك فإنه لا يكف عن الادعاء بأنه لا يفعل ذلك ، مع أن هذا هو جوهر ما يفعله، ولكن الدكتور بطرس غالي بحكم عوامل كثيرة في ثقافته وتكوينه العلمي نجا من الاضطرار هذا الخلق القاتل، وهو يعترف في صراحة وثقة بالنفس بهذا المعني منذ المقدمة و طوال صفحات الكتاب .

وصفه الممتع لمراسم تشييع جثمان البابا في إيطاليا

وعلى حين أن الصحفي المشهور مولع أشد الولع بالتخلي عن الصفة البشرية تماما ليتناول لنفسه مقاما هو أرفع بكثير جدا من البشر وأقرب إلي الألوهية، فهو يعلم ما لا يعلمه الناس، وهو يدرك ما لا يدركه الزعماء، وهو يري ما لا يراه التاريخ نفسه.. فإننا في المقابل نجد الدكتور بطرس غالي وعلي الرغم من أنه يكاد يكون صاحب قرار حقيقي يدهش للمفاجأة، وينتشي للسعادة، ويخاف سوء الطالع، ويرتاب مما يريب، ويهتز لما يُفرح ولما يُحزن ولا يجد أي حرج في أن يذكر أنه لم يكن يفهم تماما ماذا يقصد الآخرون.

ولنا أن نقرأ - علي سبيل المثال - وصفه الممتع للحظات التي سبقت حضوره مراسم تشييع جثمان (قداس) البابا في إيطاليا، وسنجد أن بطرس لا يجد حرجا في

أن يقص علينا أنه بدأ بالبحث عن حلة رسمية في ميراث والده، ويذكر أن والدته قد تنازلت عن كل هذه البذلات، فبدأ يبحث في ميراث عمه، وبطرس يفعل هذا ويحدثنا عنه دون أن يخشي أن نتهمه بالحرص أو بالبخل.

وحين وصل الدكتور بطرس غالي إلي روما ، فإنه وجد نفسه في وضع أدني من سفيرنا الشافعي عبدالحميد الذي كان يتمتع بحمل كثير من الأوسمة بينما لا يحمل بطرس إلا وساما واحدا (حصل عليه بطريق الخطأ علي حد تعبيره)، ولا يجد بطرس أي حرج في أن يذكر أن المسئول الفاتيكانى استقبل السفير علي أنه الوزير!! واستقبل بطرس علي أنه المرافق للوزير، فلما عرض السفير علي الوزير أن يتنازل لبطرس عن بعض أوسمته (!) لم يستطع بطرس أن يتأكد من صحة فهمه هل كان السفير يسخر منه أم يجامله؟ .

بطرس يطالعنا بصورة ابن الإنسان

وهكذا في كل المواقف نجد الدكتور بطرس غالي يطالعنا بصورة ابن الإنسان من دون أن يكون مضطرا إلي هذا، ولكنه في حقيقة الأمر رجل أدرك أن أقصى درجات العظمة تتحقق للبشر من دون أن يتخلوا عن صفاتهم البشرية من الفرح والحزن والجزع والاندھاش والخوف، بل وفي أحيان كثيرة: الغباء وعدم الفهم وقلة الإدراك وخطأ الرأي وخيبة الأمل.. والفشل.

لا يقع في شرك التعالي علي الأحداث

لهذا كله فإن الدكتور بطرس غالي طوال هذا الكتاب لا يقع أبدا (كما وقع غيره) في شرك التعالي علي الأحداث ولا التنبؤ لها بمسارها بفضل ما يمتلك من حكمة تاريخية أو سياسية أو استراتيجية، لكنه في واقع الأمر يمضي مع الأحداث كما حدثت، لا يمنع هذا من أن يتمني لو أن أمرا لم يحدث، أو أن تطورا ما لم يأت في الوقت الذي أتى فيه، ولكنه مع هذا لا يندفع أبدا إلي فصل الحقب الزمنية عن بعضها، ولا إلي التسميات الطنانة الرنانة، ولا إلي لى الحقائق لكي تتوافق مع أهوائه هو، ولا إلي البحث عن الدور المفقود في توجيه الأحداث وجهة الصواب وضبط هذا الدور علي آرائه هو.

بعبارة أخرى ، فإن الدكتور بطرس غالي يقرأ الأحداث معنا علي نحو ما حدثت بالفعل، وهو يعتبر نفسه جزءا من الأحداث وينجو من أن يجعل الأحداث جزءا منه.

النجاة من التنظير ومن روح التنظير

ينجو الدكتور بطرس غالي في كتابه «الطريق إلى القدس» من التنظير ومن روح التنظير إلى أقصى حد ممكن. وفي الحق أن ظروف حياته الأكاديمية الناجحة هي التي ساعدته علي هذا، فهو قد حقق في هذه الحياة أقصى ما كان يمكنه من نجاح في التأليف والتدريس وتقييم جهود الآخرين والإشراف عليهم وهم يصنعون العلم أو وهم يكتبونه علي أقل تقدير ، وهو يعلم تمام العلم أن للعلم وللحياة الأكاديمية حدودا لا تتعداها، وهو يدرك أيضا أن السياسة قد تسبق العلم الأكاديمي، وأن العلم الأكاديمي يسير وراء السياسة ليحلل ويدقق ويصف وينظر .

يقدم الآراء السياسية في نعومة شديدة

وفي هذا الكتاب كثير من العبارات المهمة والآراء السياسية البارزة التي تدلنا علي مذهب الدكتور بطرس غالي في السياسة القومية والسياسة الدولية علي حد سواء، ومن الجدير بالذكر وبالثناء أيضا أن هذه الآراء تأتي في نعومة شديدة وكأنها جاءت بالمصادفة، كما أن بطرس قد ألقاها علينا بدون خطابة ولا مقدمات طويلة، ولم يلجأ إلي إبراز خلفيات ثقافية مذهلة كي يذهلنا بها قبل أن ينطق بحكمته وحنكته علي نحو ما يفعل الصحفي الأوحده، ومن هذه الآراء المهمة ما يعتقد فيه الدكتور بطرس غالي من أن الأيديولوجية هي البديل الطبيعي للقوة في المجتمعات النامية و هو يقول : "إن الأيديولوجية بالنسبة للبلدان التي تنفقر إلي القوة الاقتصادية أو التكنولوجية أو العسكرية هي بديل للقوة. فالأيديولوجية تقدم تفسيراً لتخلفها، وهي أداة في علاقاتها الدولية، وعون لها في السياسة العالمية، وحلم بالنسبة للمستقبل. وبدون حلم كهذا تكون حياة الفقراء غير محتملة".

معتقداته تجاه النظم السياسية والاجتماعية التي تحكم العالم

لا يفوت الدكتور بطرس غالي في هذا الكتاب فرصته أن يعبر عن بعض معتقداته تجاه النظم السياسية المختلفة التي تحكم العالم، ويبدو الرجل عميقاً ومنصفاً وهو يتحدث عن ظاهرة الفقر علي سبيل المثال بطريقة عارضة، حين انتقل من جنوب آسيا إلي القاهرة إلي أوروبا، وذلك حيث يقول:

" وعندما غادرت جنوب آسيا علي متن طائرة «سويس إير» شعرت كأني قد وصلت فعلا إلي سويسرا. كانت هناك النظافة، والنظام، والهدوء، والصفاء علي الطراز السويسري. وإذا كان الفقر موجودا في المجتمع السويسري فهو غير ظاهر. والواقع أن أوروبا في مجموعها لم تنجح في التغلب علي الفقر، لكنها نجحت في إخفائه".

نقدنا لاعتقاده في أهمية الانتماء الفرانكفوني

لكن هذه النزعة الإنسانية في نظرة الدكتور بطرس غالي إلي التقدم والتأخر والغني والفقر، تكاد تجد ما يكاد يلجمها «أو يفرملها» فيقلبها إلي نزعة غير محمودة و غير منطقية حين يبقى أسيرا للثقافة الفرنسية إلي الدرجة التي يصرح فيها بأهمية الانتماء الفرانكفوني حتي علي المستوي الشخصي، وذلك حيث يقول :

" لا شك في أن التربية الفرنسية والذكريات المشتركة للدراسة في باريس هما القاسم المشترك في أية محادثة تدور بين الزعماء الأفارقة المتحدثين بالفرنسية. ولا يستطيع أي دبلوماسي لا يتكلم الفرنسية، ولا يعرف الثقافة الفرنسية، أن ينجح في إفريقيا الفرانكفونية. ومن العقبات التي تقف في طريق الدبلوماسية المصرية قلة عدد من يتحدثون الفرنسية في وزارة الخارجية"

يفرق بين السادات وعبد الناصر بالجوء الى نموذج قيصر

من أهم ما في هذا الكتاب تلك الفقرة القصيرة التي استطاع أستاذ العلوم السياسية فيها أن يتمكن من بلورة الفرق بين السادات وعبد الناصر بأسلوب يرضي الغرب مع أنه مختلق من الخيال، لكنه لا يلجأ إلي تخوين هذا أو ذاك، وإنما يري الفارق أبعد من ذلك الفهم الضيق المرتكز علي فكرة طرفي النقيض !! وهو يقول :

" كان هناك اختلاف ملحوظ بين السادات وسلفه جمال عبد الناصر. فعبد الناصر، مثل قيصر، كان يفضل أن يكون «الأول في قريته»، بمعني قري العالم الثالث. أما السادات فيقبل أن يكون «الثاني في روما»، أي في عواصم دول العالم الكبرى. كان عبد الناصر معاديا للاستعمار وللغرب بشدة. أما السادات فيعجب بالثقافة والتقاليد الغربية وعلي استعداد للتحالف مع أعداء الشيوعية. فقد جاء ناصر إلي السلطة في وقت المواجهة مع الدول الاستعمارية، وجاء السادات في وقت المصالحة معها.

وهكذا كانا يمثلان فترتين مختلفتين بوضوح في تاريخ مصر. وقد شاركت مشاركة إيجابية في الحياة السياسية في كل من هاتين الفترتين المختلفتين".

حرصه على انتقاد الإدارة المصرية في ضعف اتصالاتها

اما علي المستوي المحلي ، فإن الدكتور بطرس غالي لا يخفي أبدا انتقاده لتفكك الإدارة المصرية وضعف الاتصالات فيما بينها، وهو يضرب أمثلة كثيرة علي هذا المعني في مواضع متعددة من كتابه ، وهو يفعل هذا بإخلاص وانتماء ومن دون أن يصل إلي جلد الذات، وهو يقول مثلا :

"في اليوم التالي، الأول من فبراير، قابلت وزير خارجية يوغوسلافيا الذي قال لي إنه قرأ النص الحرفي للقائي بالرئيس تيتو. وانتقل ذهني علي الفور إلي أن تسجيلات مقابلات الرئيس السادات تصل إلي الوزارة المعنية بعد أسبوع علي الأقل أو عشرة أيام، هذا إذا وصلت أصلا. وأغضبني أن عدم كفاءة النظام المصري تجعلني في وضع أضعف من نظرائي".

وفي موضع آخر يقول الدكتور بطرس غالي:

" وبينما كان مؤتمر القاهرة معرضا لهذا الهجوم، كان البيروقراطيون في الحكومة المصرية - ومن بينهم بعض الوزراء الذين لا ترتبط مسؤولياتهم بأي شكل بالموضوع - يحاولون إقحام أنفسهم في كل التفاصيل المتعلقة بالمؤتمر. وبينما كان الاستنكار يتصاعد في الخارج، كان سوء التنظيم يتصاعد في الداخل".

يعرف اتفاقات الشاه والرئيس السادات من السفير الإيراني

وفي موضع ثالث يعترف بصراحة: " كنت أتعرف علي قرارات اتخذها الشاه والرئيس السادات، ليس من حكومتي بل من السفير الإيراني، وعندما اكتسبت مزيدا من الخبرة في وضعي الجديد، عرفت أن الطريق الفعال لاكتساب المعلومات يأتي من خلال المصادر غير الحكومية، فالسادات لا يحرص علي إطلاع مستشاريه علي الحقائق، أما زملائي فيعتبرون المعلومات مصدرا للقوة، وبالتالي فإنهم يكتنزونها".

شهور لإصلاح الكرسي الذي انهار عندما جلس عليه زعيم زيمبابوي

وفي مناسبة رابعة يحكي الدكتور بطرس غالي فيقول :
"وفي ٢٤ أبريل استقبلت في مكثبي جوشوا نكومو قائد جبهة التحرير الوطني في زيمبابوي، وكان وزن نكومو يبلغ نحو ٢٧٠ رطلا. وقد انهار الكرسي الذي جلس عليه تحت وطأة وزنه، وكاد يقع علي الأرض لولا أنني أمسكت به. وكان من شأن البيروقراطية المصرية أن استغرق إصلاح الكرسي ستة أشهر» وهكذا..

أهدى الملك البلجيكي تمثالا فرعونيا لا يعرف عنه شيئا

أما أكثر هذه المواضع تشويقا ، فهي تلك التي يعترف فيها الدكتور بطرس غالي بالتشوق إلي أن تكون له سكرتيرة جيدة، تحسن من صورته المعرفية حين يفرط في آثار بلده من دون اكتراث ،ولنقرأ القصة :
"وفي اليوم التالي استقبلني الملك بودوان في قصره [بإحدى] ضواحي بروكسل. وأهديته تمثالا فرعونيا صغيرا، كنت قد وجدته في المكتب الذي آل إليّ من وزير الخارجية السابق بمبني وزارة الخارجية. وحرصت علي الحصول علي موافقة الرئيس السادات قبل تقديم هذه الهدية القديمة الثمينة إلي الملك البلجيكي."
"وأبدي الملك إعجابه بالهدية، وطلب أن أسرد عليه تاريخ التمثال وترجمة الحروف الهيروغليفية المنحوتة عليه. واعتذرت واعترفت بجهلي التام، وقلت إنني لا أعرف شيئا عن التمثال. وقلت لنفسني إنه لو كان لديّ سكرتيرة جيدة، لكأنت حصلت علي الحقائق الخاصة بهذا التمثال الصغير، و لاستطعت حينذاك الحديث مع الملك عن أهمية الهدية التي بعث بها الرئيس السادات إليه. ولكن العمل بوزارة الخارجية كثيرا ما كان ضربا من اللامبالاة والارتجال . وبدا الحرج علي وجهي حينما وجدت الملك يبتسم ويقول بلباقة: «علي أي حال، إذا كانت معلوماتك ناقصة بعض الشيء، فإنني علي ثقة من أن معلوماتك عن التاريخ الحديث كاملة تماما".

ذكرياته عن اغتيال يوسف السباعي ثم أبطال الصاعقة المصريين

كان من الضروري أن يتناول الدكتور بطرس غالي في هذا الكتاب وجهة نظره تجاه ما حدث في قبرص عشية اغتيال يوسف السباعي ثم أبطال الصاعقة

المصريين، وبخاصة أنه كان بمثابة المسئول الدبلوماسي الأول في ذلك الوقت، وقد كان الدكتور بطرس غالي عند حسن الظن به، وقدّم لنا التفاصيل الدقيقة لكل ما حدث دون أن يتستر علي أي سوء تصرف أو إهمال للإدارة المصرية، بل لعله كان أقرب إلي التحامل علي أسلوب الحكومة التي كان أحد أفرادها، ولكن المهم في رواية الدكتور بطرس غالي أنه بعد صفحات طويلة من الحديث عن أزمة الصاعقة المصرية في قبرص بعد استشهاد يوسف السباعي يقرر في شجاعة و بمنتهي الموضوع والصراحة أنه لم يكن يعرف الحقيقة في ذلك الوقت.

كان يظن السبب ارتجالا لكنه فهم فيما بعد حقائق أخرى

"في البداية استخلصت أن هذه لم تكن مؤامرة مدبرة، بل نتيجة للغباء والارتجال بلا تدبر... ولكن بمرور الوقت لم أعد واثقا من ذلك. فأعداء السادات كانوا يأملون في خلق حالة من عدم الاستقرار داخل الجيش المصري، وكانت الصحف الدولية تقارن بين فشل الصاعقة المصرية ونجاح العملية الإسرائيلية في إنقاذ الركاب الذين خطفت طائرتهم في عنتيبي".

موقفه من تاريخ جده بطرس غالي باشا يتسم بالغرابة

أما موقف الدكتور بطرس غالي من جده بطرس غالي باشا وقضية تسليم السودان، فهو في رأينا موقف يتسم بالغرابة، حيث لا يتبني وجهة نظر جده ولا حتي يدافع عنها، وتبدو عباراته وكأنه يدعم ويشجع ما يسميه هو الديماجوجية دون أن يدري، وذلك علي الرغم من أنه كان في منتهي الشجاعة حين أهدى كتابه إلي هذا "الرجل العظيم" الذي لم يحظ بعد بالتقييم الموضوعي لدوره في السياسة المصرية، ومع أن رأينا في جده سلبي فيكفينا أن نشير إلي ثناء الخديو عباس حلمي في مذكراته علي من كان يحلو للدكتور بطرس غالي أن يصفه بأنه الرجل العظيم .

اللجوء إلى التعبير بقوله : كان يقال لي

ومع هذا فإن الدكتور بطرس غالي في لحظة سريعة لا يجد حرجا في أن يقول :
" .. كان اهتمامي بالسودان يرجع إلي أمد بعيد، لأنه كان يقال لي وأنا صبي صغير إن جدي بطرس غالي باشا هو الذي سلم، أثناء توليه وزارة الخارجية، السودان إلي البريطانيين عندما وقّع في سنة ١٨٩٩ الاتفاقية التي أقامت الحكم الثنائي

بين مصر وإنجلترا في السودان، الذي كان المصريون يعتبرونه من الأراضي الخاضعة لسيادتهم الخالصة. وكان ذلك من الأسباب التي دفعت من اغتالوا جدي في أحد شوارع القاهرة، وقد حوكم القاتل، واسمه الورداني، وثبتت إدانته وتم إعدامه، ولكنه تحول إلي بطل وطني، وكان الطلبة يهتفون في الشوارع: الورداني! الورداني! اللي قتل النصراني!".

ذكرى رحلة والدته للحج إلي القدس

في موضع مبكر من الكتاب يروي الدكتور بطرس غالي ما قد يمكن لنا أن نعتبره السبب في اختياره هذا الاسم لهذا الكتاب، وذلك حيث يقول :

"وعداد إلي ذاكرتي موقفي وأنا صبي صغير، أراقب أمي «صوفي» وهي تعد حقيبتها للحج من القاهرة إلي القدس، وهي رحلة تعتبر بالنسبة للقبطي في أهمية الحج إلي مكة بالنسبة للمسلم. وشعرت بانفعال أسرتي عندما استقلت أمي القطار المتجه إلي يافا في فلسطين، ومن المحطة هناك تصعد إلي المدينة المقدسة. واستعدت ذكريات عودتها وشعورها بأنها قد بوركت بالحج الذي قامت به".

يقع في خطأ تسمية الإشراف الإداري علي قطاع غزة احتلالا

أما الخطأ الرهيب جدا في هذا الكتاب فهو حديثه عن الإشراف الإداري لمصر علي قطاع غزة علي أنه كان احتلالا، فهل من المعقول أن تقع مذكرات وزير مصري معني بالشئون الخارجية في مثل هذا الخطأ؟ حيث يقول بالنص :

"فمصر لا ترغب في ممارسة السلطة علي الفلسطينيين، وأهل غزة لا يريدون ارتباطا مع مصر. فمصر احتلت غزة من عام ١٩٤٩ إلي عام ١٩٦٧، ولم يكن أي من الطرفين سعيدا بذلك".

يرى أن السادات كرجل عسكري كان يشعر بنفور طبيعي تجاه ديان

وتحظي علاقة الرئيس السادات وديان بتحليل وتعقيب الدكتور بطرس غالي الذي لا يستطيع أن يخفي رأيه الخاص بأن السادات كان يشعر بنفور طبيعي تجاه ديان،

فضلا عن النفور الشخصي والاستخفاف بقدرات الرجل، ويعطينا بطرس تفسيره الأقرب للصواب ، وذلك حيث يقول ضمن كتابه :

«ولكن اللقاء لم يُذب الثلوج بين الاثنين. ولدي مغادرته الاجتماع أعلن السادات أن ديان رجل متشائم وغير قادر علي استيعاب الآثار بعيدة المدى لمبادرته السلمية. ولم أتفق مع تقييم السادات. فإن الرجل بالرغم من شخصيته الصعبة قادر علي الرؤية البعيدة، وقد دأب علي تقديم حلول خلاقة لمشكلات معقدة. أما سبب هذه العداوة فلا يرجع إلي استخفاف السادات بقدرات ديان، كما أنها لا تعود فقط إلي الكيمياء الشخصية السيئة. ويبدو أن السادات كرجل عسكري مصري كان يشعر بأن ديان يتصرف بغطرسة نظرا لهزيمة إسرائيل لمصر في المعركة.»

يقدر موقف محمد إبراهيم كامل مع تحفظه علي عصبية

من المهم أن نذكر أن الدكتور بطرس غالي كان مقدرًا كل التقدير لموقف محمد إبراهيم كامل في كامب دافيد، رغم تحفظه علي عصبية في أكثر من موضع، ويبلغ هذا التقدير مداه حين يثني الدكتور بطرس غالي علي قرار استقالة محمد إبراهيم كامل بعبارات واضحة وصريحة ويقول: «وبالنسبة لمحمد إبراهيم كامل فقد أظهرت استقالته المدي العظيم لقوة الشخصية. ففي العالم الغربي يستطيع الفرد أن يستقيل معترضا ، بينما الحياة تسير قدما. أما في العالم الثالث فإن الاستقالة هي خيانة للزعيم، وقرار يؤدي بصاحبه - كما يقول الرومان - إلي «الوفاة المدنية». كان محمد كامل دبلوماسيا محترفا. وإذا لم يخدم حكومته بهذه الصفة فليس هناك عمل آخر يتناسب والمهارات التي أمضي الجانب الأكبر من حياته في تحصيلها».

حرص د. مصطفى خليل علي سد ذرائع الفساد المالي

كان الدكتور بطرس غالي حريصا علي أن يلفت نظر قارئ كتابه ، سواء في الغرب أو في الشرق إلي حرص كثير من المسؤولين المصريين علي النزاهة التامة في التصرفات المالية، وقد قدم هذا المثل بطريقة عفوية حين روي ما تبين له من حرص مصطفى خليل علي سد ذرائع الفساد مما دعاه الي الاقتداء به :

" وفي المساء هدأت الأمور بعض الشيء. ووافقت «ليا» علي مرافقتي إلي حفل العشاء الذي يقيمه الدكتور مصطفى خليل تكريما لعزرا وايزمان. وكانت السيدة

جيهان السادات ضمن الضيوف. وأدار المضيف تسجيلات من الموسيقي الكلاسيكية مما وفر خلفية لطيفة لأحاديثنا. وبدأت جيهان السادات مبتهجة، وكان الجو مفعما بالصدقة والتناغم. وكنت أنا وزوجتي آخر المنصرفين " والتقطت أذني طلب رئيس الوزراء بأن توافيه إدارة المراسم بفاتورة الأطفمة التي جاءت من نادي التحرير. وعلقت على ذلك قائلا ، إن هذا الحفل لقاء رسمي وأن علي وزارة الخارجية أن تتحمل التكاليف. ولكن مصطفى خليل رفض قائلا: «إنني أريد إرساء قواعد لمثل هذه الأمور، وموقفي ينبغي أن يكون درسا للجميع. فلو كانت هذه المناسبة قد تمت في نادي التحرير التابع لوزارة الخارجية لكانت مناسبة رسمية، وبناء عليه تتولي وزارة الخارجية تغطية تكاليفها. ولكن الحفل أقيم في بيت خاص، ولذلك فإن علي المضيف أن يتحمل التكلفة مهما كانت الظروف أو أوضاع الضيوف، وأي تصرف آخر سيفتح الباب للانحرافات - أي الفساد.»

"وقررت تطبيق نفس القاعدة في وزارة الخارجية.»

معارضة ابن عمه إبراهيم أمين غالي لمعاهدة السلام

وفي هذا الكتاب إشارات متعددة إلي المصاعب التي كان يعانيها الدكتور بطرس غالي [حتي علي المستوي العائلي] من مضيه في طريق السلام، وهو يروي لنا كثيرا من المواقف مع زوجته، كما يروي لنا في أحد المواضع معارضة ابن عمه إبراهيم أمين غالي الدبلوماسي السابق لخطوات مصر الدبلوماسية:

" وفي وقت متأخر من اليوم نفسه أدليت بحديث إلي مراسل «لوموند» في القاهرة. وتضمنت أسئلته استفسارا عن ابن عمي، إبراهيم أمين غالي، الذي فصله عبد الناصر من وزارة الخارجية لخدمته الدبلوماسية لنظام الملك فاروق. وكان ابن عمي هذا قد وجد سلواه في أن يصبح كاتباً في التاريخ والسياسة، وكان قد أصدر كتابا في باريس يناهض فيه معاهدة السلام تحت عنوان «إسرائيل أو السلام المتمرد». وكانت اعتراضات ابن عمي علي اتفاق السلام أقل كثيرا في خطورتها من اعتراضات الأعضاء البارزين للمعارضة المصرية. وشرحت للمراسل كيف أن المعارضة داخل أسرتي شخصيا تقف دليلا علي أن المصريين يعيشون في جو ديمقراطي. وكانت تربطني بابن عمي صداقة متميزة، مثلما كنت أرتبط بأصدقاء آخرين يعتقدون بأنني ارتكبت خطأ فادحا".

أهم فقرة في هذا الكتاب هي نصيحة الدكتور عبد الله العريان

يهما أن نذكر أن أهم فقرة في هذا الكتاب تأتي عرضا حيث يتحدث الدكتور بطرس غالي عن حوار جانبي مع الدكتور عبد الله العريان في أثناء محادثتهما مع ديان في أمريكا، حيث يقول :

"وفي إحدى النقاط تبادلنا، ديان ونحن، كلمات عاصفة. وهمست في أذن الدكتور عبد الله العريان قائلا: «إنني لا أستطيع تحمل هذا الرجل أكثر من ذلك. إنني سأترك هذه المباحثات! "

"ولكن الدكتور عبد الله العريان وضع كلتا يديه فوق ركبتي لإبقائي جالسا، وهمس في أذني ببطء، وهو يؤكد كل كلمة: «لا بد أن نتحمل يا دكتور، لأن أرض مصر محتلة». وشعرت بضعف موقفنا ومهانتنا. وتراءى لي الريف في صعيد مصر، وتبدد غضبي، ومن أجل هذه الأرض أمكنني مواصلة المناقشة ساعات بلا انقطاع".

السادات يعبر تعبيرا شبيها بتعبير الدكتور عبد الله العريان

تساوي الفقرة السابقة في قوتها تلك التي يرويها لنا الدكتور بطرس غالي في موضع آخر حين يقول : «وأبلغت السادات بمخاوفي من أن مصر أخذت تصيح معزولة دبلوماسيا. وأنصت السادات إلي حديثي بهدوء لبعض الوقت ثم قاطعني قائلا: «أريد منك نقل مقعدك». ولم أفهم ما يقصده. فإن أفكاري كانت بعيدة تماما عن مقعدي. وعندما استفسرت منه، كرر العبارة ذاتها: «أريد منك يا بطرس أن تنقل مقعدك من مكانه حتي تستطيع أن تري الضفة الشرقية لقناة السويس.»

"ونفذت تعليمات الرئيس. ومن موقعي الجديد، استطعت رؤية صحراء سيناء المجيدة علي الضفة المواجهة لنا. وأمامي، كانت هناك أشجار خضراء وحدائق تحوط استراحة الرئيس الخاص، ووراء ذلك، كانت المياه في القناة تلمع وتعكس ضوء الشمس. ومن بعدها، كانت تبدو رمال الصحراء الصفراء.

"وقال الرئيس، وهو ينطق في تباطؤ متعمد: «إنني لا أربح في الاستهانة بحجم المشاكل والهموم التي تواجهها الدبلوماسية المصرية. غير أن كل هذه المشاكل والهموم تتضاءل بالنسبة للأرض التي استعدناها. إنها لا تساوي مترا مربعا واحدا

من هذه الأرض التي استرددناها دون إسالة دماء أبنائنا. بطرس، إنني لا أريد أن أنتقص من الجهود التي تبذلها. ولكنني أؤكد لك أن مترا مربعا واحدا من هذه الأرض المصرية أهم كثيرا من الصعاب الدبلوماسية التي تواجهها .

"إنني لا أخشى الإذانات. وأنا لا أخشى البلدان التي تقطع علاقاتها الدبلوماسية معنا. وأنا لا أخاف من استقراوات وسفاسف البلدان العربية». وظل السادات يتكلم طوال الساعات التالية وأنا أنصت إليه، ولم يترك لي الفرصة للرد أو التعليق علي ما قاله. وهاجم بشراسة «الدول في الخليج وإفريقيا التي ليست سوي زمرة صغيرة لا قيمة لها سياسيا أو ثقافيا أو اقتصاديا".

يعترف بفهمه لطرفي المعادلة بعد شرح السادات

و نحن نرى الدكتور بطرس غالي وقد وصل إلى ما يسميه المسرحيون و النقاد لحظة التنوير :

" والحقيقة، أنه عندما انتهى الاجتماع، كنت علي اقتناع كامل برأي السادات: إذ ليس هناك مجال للمقارنة بين طرفي المعادلة، إذ إن العزلة السياسية سوف تنتهي بعد فترة، لكن الأرض المستعادة ستظل أرضنا إلي الأبد".

ولا بد هنا من أن نعترف بتجربتنا في قراءة هذه المذكرات ، وهو أننا كنا قد أشرنا علي هامش الفقرة الأولى بأنها تبدو وكأنها أهم فقرة في الكتاب ، وبعد يومين وأثناء مواصلتنا للقراءة كتبنا التعليق ذاته علي فقرة أخرى في صفحة تالية لها بعد عشرات الصفحات، ولكننا قلنا: إنه لا بد لنا أن نذكر أننا قد كتبنا نفس التعليق علي فقرة أخرى!! فلما انتهينا من قراءة الكتاب كله وشرعنا في كتابة مدارستنا له ، دهشنا غاية الدهشة أن المعني الذي تناولته العبارتان معني واحد ، أو هكذا يبدو لنا الآن.

الأوصاف السريعة التي يقدم بها أعلام عصره

من أهم وألطف ما يمكن في هذا الكتاب تلك الأوصاف التي يسبغها الدكتور بطرس غالي علي زملائه حينما تتاح له الفرصة للحديث عنهم، أو حينما يأتي ذكرهم في مجري الأحداث العام. وعلي الرغم من أن الدكتور بطرس غالي يميل إلي أن يركز الوصف في كلمة أو جملة، فإنه ينجح تماما في خلق صورة مميزة عن كل من هؤلاء الذين يتعرض لهم بالوصف، وهو في أوصافه حريص علي الصفات

الجسمانية (البدنية) بنفس الحرص علي الصفات الشخصية. ومن حسن الحظ أن الدكتور بطرس غالي قد تناول عددا كبيرا من أعلام هذه الفترة، وسوف نجتزئ للقارئ بإيراد الأوصاف التي أسبغها بطرس علي عدد من السياسيين المصريين.

الرئيس أنور السادات

في انطباعاته عن أول لقاء له به في عام ١٩٥٤: «كان السادات شديد الذكاء ولكنه غالبا يريد أن يخفي دهائه وحدة ذهنه، كان يقرأ كثيرا على الرغم من شهرته بأنه لا يجد أبدا وقتا للقراءة.»

الرئيس حسني مبارك

في معرض حديثه عن رئاسته للجنة التاريخ: « [وأدهشني] مع ذلك دأبه بصبر علي جمع مجموعة من الأفراد - يحاول كل منهم أن يغلب وجهة نظره - وأن يصنع منهم كيانا موحدا ومنتجا.»

ممدوح سالم

رجل طويل القامة ذو شخصية مؤثرة، معروف بالأمانة وضبط النفس وقلة الكلام واختيار الكلمات بعناية، وهي مجموعة صفات يندر اجتماعها في العالم العربي.

المشير محمد عبد الغني الجمسي

"كان رجلا نحيفا متوسط القامة مستقيم الظهر، يبدو واثقا تماما من نفسه، مباشرا في حديثه، يتجنب الأساليب الملفوفة التي يتبعها الدبلوماسيون، ذهنه متفتح، وهو مشهور بالنزاهة التامة في جميع الأمور."

محمد إبراهيم كامل

"وجدت من البداية أن التعامل معه لن يكون صعبا، شخصية لطيفة ومتسامحة، وهو يتكلم بإخلاص ووضوح في عبارات تكشف عن قلب كبير.. اجتماعي مما جعلني أشعر بأننا نستطيع أن نعمل معا بأمانة وإخلاص لبلدنا.»

جيهان السادات

"الأنيقة الجميلة والذكية".

د. مصطفى خليل

"سريع البديهة حاد الذكاء".

الدكتور عصمت عبد المجيد

"عرفته منذ الأربعينات عندما كان يعد رسالة للدكتوراه في باريس وكنت علي ثقة تامة بكفاءته وقدرته علي إدارة المؤتمر".

عمرو موسى

"وبفضل شبابه وطموحه وديناميكيته تقدم الصفوف ليصبح وزير خارجية مصر في التسعينات".

الدكتور أسامة الباز

"شاب قصير القامة ضئيل الحجم خشن الصوت وذكاؤه خارق، من خيرة المشتغلين بالسياسة والمطلعين على مختلف مجالات المعرفة ، ويفيد في كل الأغراض".

موسي صيري

"صحفي غزير الإنتاج، يتصف بالأمانة والشجاعة، وهما أمران نادرا ما يجتمعان في العالم العربي".

الشهيد يوسف السباعي

"كان ذا شخصية دافئة ودودة متروية في حديثها، وكنت أعتز بصداقته وأقدر رجولته وأخلاقياته، كان ضابطا سابقا في الجيش ومن الكُتّاب غزيري الإنتاج

للروايات الخفيفة التي تحولت إلى أفلام أو مسلسلات تليفزيونية، وكان صديقا مقربا للرئيس السادات".

الدكتور مصطفى كمال حلمي

"تكلم بأسلوب خطابي أدبي ، ولغة عربية ممتازة ، بصوته العميق الذي يبدو كأنه يروي قصة حب، فشكرني باسم مجلس الوزراء للجهد الذي بذلته والنتائج التي حققتها، ورفعت كلمته البليغة روعي المعنوية".

الدكتور جمال العطيفي

"محام من أعضاء الحزب ذوي الطموح السياسي، وكنا قد مررنا معا بأوقات صعبة في ظل نظام عبد الناصر ثم توثقت العلاقات بيننا عندما جمعنا العمل لمدة عشرين سنة في الأهرام.»

الفريق أول كمال حسن علي

"أحد أبطال الحروب العربية/ الإسرائيلية، يحظى بشعبية داخل المؤسسة المصرية، سرعان ما أدي ذكاؤه ولطفه وروحه المرححة وتواضعه وأمانته الفكرية وأسلوبه العسكري إلي كسب وايزمان.»

الدكتور أحمد صدقي الدجاني

"له كتابات عديدة شعرت بعمق ثقافته، وكذلك وضوح تفكيره الذي يعبر عنه بصوت أجش وينطق كلماته علي مهل مستخدما لغة عربية فصيحة للغاية.»

اللواء محمد النبوي إسماعيل

"ضابط بارز في الشرطة له سمعة كبيرة في تدبير العمليات السرية.»

يخطئ في عدد المرات التي أدي فيها اليمين الوزارية

للدكتور بطرس غالي العذر في أن يخطئ في عدد المرات التي أدي فيها اليمين الوزارية في عهد الرئيس السادات، فهو عندما يأتي إلي تشكيل الوزارة في مايو سنة

١٩٨٠، يذكر أن هذه كانت المرة الرابعة التي يؤدي فيها اليمين، وفي حقيقة الأمر فقد كانت هذه هي المرة الخامسة، وقد وقع الدكتور بطرس غالي في هذا الخطأ نتيجة أنه نسي تماما وزارة ممدوح سالم الخامسة التي تشكلت في مايو سنة ١٩٧٨، بينما تذكر بالطبع دخوله الوزارة في وزارة ممدوح سالم الرابعة (أكتوبر سنة ١٩٧٨)، ووزارتي مصطفى خليل ووزارة السادات الأخيرة. وقد كانت وزارة ممدوح سالم الخامسة (مايو سنة ١٩٧٨) بالفعل أشبه بتعديل وزارتي ، إذ لم تتضمن كثيرا من التغييرات، لكنها كانت بالفعل وزارة صدر لها القرار الجمهوري رقم ١١٢ لسنة ١٩٧٨ في مايو عام ١٩٧٨ ، ولكن ظروفها ما اقتضت ألا تؤدي الوزارة كلها اليمين أمام الرئيس السادات وتم الاكتفاء بان يؤدي اليمين القانونية ١٣ وزيراً هم الوزراء الجدد و من تغيرت مهامهم في الوزارة الجديدة لليمين .

وهكذا فان ذاكرة بطرس لم تنتبه الي ان وزارة جديدة قد تشكلت ، علي ان هذا يقودنا الي واقعة خطيرة اذ يبدو من سياق حديث بطرس انه لم يؤد اليمين حين صدر قرار بتكليفه بوزارة الدولة للشئون الخارجية ، بعدما كان قد عين وزيرا للدولة فحسب ، والذين عاشوا فترة الاحداث المتلاحقة في عهد السادات يعرفون ان كل هذا كان ممكن الحدوث [راجع كتابي «الوزراء»] ، دار الشروق ١٩٩٦، البنين الوزاري، دار الشروق ١٩٩٦.]

وفي هذه الجزئية أيضا ، فقد فات الدكتور بطرس غالي أن ينبه إلي حقيقة مهمة ، وهي أن وزارة الرئيس السادات الأخيرة (مايو ١٩٨٠) قد رأسها السادات بنفسه، وقد أسندت إلي الدكتور أحمد فؤاد محيي الدين فيها مهام رئيس الوزراء بالنيابة.. وقد حدث في تشكيل هذه الوزارة ما رواه الدكتور بطرس غالي بالفعل من أن تشكيلها بدأ علي أن الذي سيتولى رئاستها هو الرئيس حسني مبارك بالإضافة إلي منصبه كنائب لرئيس الجمهورية، لكن الذي حدث بالفعل (والذي فات الدكتور بطرس غالي أن يذكره) أن الأمور قد تغيرت وتولي السادات رئاسة هذه الوزارة بنفسه، وتولي نائب رئيس الوزراء فؤاد محيي الدين ، طبقا لقرار التشكيل ، مهام النيابة عن الرئيس السادات في رئاسة الاجتماعات وتقديم برنامج الوزارة إلي مجلس الشعب.. إلخ.

الدقة التاريخية تميز الكتاب لكنه لا يخلو من هنات

ينبغي لنا أن نشيد بالدقة التاريخية التي تغلب على صفحات هذا الكتاب، وفي واقع الأمر ، فإن هذه الدقة ليست مستغربة علي أستاذ قدير كهذا الأستاذ ولا على أسلوبه في الكتابة، وفي كتابة المذكرات كجزء من أسلوبه العام في الكتابة، ومع هذا فإن في كتاب الدكتور بطرس غالي عدة مواضع تحتاج منه إلى مراجعة في الطبقات القادمة ليكون قد وصل بكتابه إلي الدرجة التي لا بد أن يصل إليها:

- من ذلك - علي سبيل المثال - أن الدكتور بطرس غالي يذكر في كتابه أن وزير خارجية الكويت في ٣ مارس ١٩٧٩ كان سمو الشيخ جابر الأحمد ، والمقصود هو الشيخ صباح الأحمد النائب الأول لرئيس الوزراء ووزير الخارجية الكويتي.
- ومن ذلك - علي سبيل المثال - أن الدكتور بطرس غالي يتحدث عن مجدي وهبة في صفحة علي أنه كان عضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة (الأكاديمية المصرية حسب الخطأ في الترجمة)، وفي الواقع فإن مجدي وهبة كان عضوا في هذا المجمع ، لا في ذلك الوقت وإنما فيما بعد ذلك - وبالتحديد في عام ١٩٧٩ بينما نحن لا نزال في هذه المذكرات في عام ١٩٧٧ حين ورد ذكر هذا النص.
- وكثيرا ما يخطئ الدكتور بطرس غالي في الرتب العسكرية للقادة العسكريين المصريين، ففي ص ٦٩ - علي سبيل المثال - يتحدث عن الجمسي كلواء بينما هو فريق أول، أي كأنه نزل به درجتين!! وبعد ذلك يتحدث عنه كفريق فقط، بينما نال الجمسي رتبة الفريق أول منذ ديسمبر عام ١٩٧٤ كما أنه نال رتبة المشير في عام ١٩٧٩ . وأغلب الظن أنه استخدم لفظ الجنرال بدون تمييز.
- و في صفحة ٤٧ يتحدث عن الدكتور مصطفى خليل السكرتير العام للحزب، بينما لم يكن مصطفى كذلك في ذلك الوقت، بل إنه كان بمثابة الشخص الوحيد البعيد عن الانتماء للأحزاب، لأنه كان ما يزال الأمين العام للاتحاد الاشتراكي (الأمين الأول للجنة المركزية للاتحاد الاشتراكي) الذي يضم كل الأحزاب تحت مظلته!! ولم ينضم مصطفى

خليل إلي الحزب الوطني إلا في مطلع أكتوبر عام ١٩٧٨ وقبيل تكليفه بتشكيل الوزارة.

- و في ص ١٢ يتحدث عما يسميه «المكتب السياسي للاتحاد الاشتراكي العربي»، وربما يقصد الأمانة العامة للاتحاد الاشتراكي، فلم يكن للاتحاد الاشتراكي مكتب سياسي ، وإنما عُرف هذا التعبير في عهد الحزب الوطني الديمقراطي بعد ذلك، ويتكرر هذا الخطأ في ص ١٩ .
- و في صفحة ٣٤ يرد النص التالي في أول الفقرة الثانية: «كان الخميس ٢٢ نوفمبر عام ١٩٧٧ يوما حافلا ومضطربا». وفي الصفحة التالية صفحة ٣٥ يرد النص التالي في أول الفقرة الرابعة: «وفي اليوم التالي الخميس ٢٤ نوفمبر استقبلت سفراء آسيا.»
- و في صفحة ٤٤ الفقرة الثانية: يرد النص التالي: «وكنا قد اضطررنا بسبب موجة المعارضة الدولية إلي تخفيض مستوى المؤتمر وتأجيل موعده. وذكرت أن الموعد المقرر للمؤتمر الآن هو ٣ ديسمبر في مينا هاوس». ويبدو أن هناك خطأ فيما يتعلق بالموعد، فقد كان الموعد منذ البداية هو ٣ ديسمبر، انظر صفة ٣٦ علي سبيل المثال.
- في صفحة ٤٧ يتحدث عن جمال منصور سفيرنا في سوريا علي أنه كان من تلاميذه في جامعة القاهرة في أواخر الأربعينات، وأصبح بعد ذلك لواء في الجيش!! لا ندري كيف وقع هذا الخطأ ، فقد كان جمال منصور ضابطا في الجيش من قبل أن يكون تلميذا في جامعة القاهرة لبطرس غالي، فلما تخرج في كلية التجارة ، وهو في شبابه المبكر التحق بالسلك الدبلوماسي وترك القوات المسلحة نهائيا من قبل أن يصل إلي مثل هذه الرتبة بكثير جدا!!
- في صفحة ٤٨ يتحدث عن وزير الحربية المصرية علي أنه وزير الدفاع، مع أن التسمية لم تتغير هكذا إلا في أكتوبر عام ١٩٧٨ .
- في نهاية ص ٧٥ يتحدث عن مقر مجلس الوزراء بهذا الوصف الخاطئ: «ودخلت مكتب ممدوح سالم في قصر الأميرة شويكار القديم بقصر الدوبارة!» وهكذا مزج قصرين في قصر واحد مع أن القصور لا تمتزج

- في صفحة ٦١ يتحدث عن الدكتور حامد السايح كوزير للمالية، بينما كان وزيرا للاقتصاد.
- في صفحة ١١٤ يتحدث عن حسن التهامي برتبة اللواء مع أنه كان ينادى بالفريق(!!!)
- في صفحة ١٣٢ يتحدث عن عضوية ماسينيون للأكاديمية المصرية ، وهو يقصد مجمع اللغة العربية بالقاهرة.
- في صفحة ١٩٥ («وكان فاروق قد حاول استخدام الإخوان لموازنة قوي الوفد، وهو الحزب الوطني الذي يقوده سعد زغلول» فاستخدم اسم حزب معارض للوفد كاسم للوفد من باب الصفة ، والأحزاب لا تمتزج هكذا على نحو ما أن القصور لا تمتزج.
- في صفحة ٣٠٦ يتحدث عن مجلس وزراء مصري مصغر؟ وليس هناك هذا الاصطلاح ولا المعني في مصر.
- في صفحة ٣٢٨ يتحدث عن جامعة القاهرة وهو يقصد جامعة عين شمس.

بعض الملاحظات اللغوية

وإذا كان لابد لنا من تحية لذكرى الدكتور طه حسين حين كان يعنّف أصدقاءه حين يقعون في بعض الأخطاء اللغوية فإننا نحبي هذه الذكرى بما كان حريا ان ينتقده في كتاب الدكتور بطرس غالي من قبيل حديثه عن أن الفيلا كانت تحتوي علي أساس متواضع وهو يقصد «الأثاث» أو من قبيل قوله : وقف بيجين رئيس الوزراء وألقي كلمة مرتجلة «جافية». أو قوله في وصف الدكتور أسامة الباز «ويفيد لكل الأغراض». أو قوله الدور التحتاني للهيلتون أو قوله «أخذت» الطائرة إلي بلغراد أو قوله «خالتي» وهو يقصد «امرأة عمه». أو قوله «هل أنت المناهض للمسيح؟» و لعله يقصد «المسيح الدجال»!! أو قوله «التمشية لوحده» يقصد «بمفرده». أو قوله «ممضة» يقصد «مملة».. أو قوله " الصفحة المعلمة» يقصد «المشار إليها». أو قوله «حتي» وهو يقصد «أيضا». أو قوله انقلاب «حضري» ، يقصد «مدني». أو قوله " خصصت تمثالا»، يقصد نجحت في إقناع الحكومة بتخصيص موضع لإقامة تمثال.

الباب الثالث : عسكري في رحاب الدبلوماسيين

الفصل الرابع : مذكرات السفير صلاح شعراوي

تتبع أهمية السفير صلاح شعراوي من أنه في الأصل ضابط جيش من الجيل الذي ينتمي إليه من سمو بالضباط الأحرار ، ومن أصبحوا حكامًا لمصر ما بعد ١٩٥٢ .

وقد أهله موقعه في القوات المسلحة لأن يصبح دبلوماسيًا في العهد الذي كان النظام الناصري يفضل أن يشغل المواقع الدبلوماسية بالضباط، وأن يكون هؤلاء الضباط مسئولين أو منفذين للسياسة الخارجية المصرية .

تدرجه في السلك الدبلوماسي

تدرج السفير صلاح شعراوي في السلك الدبلوماسي بادئًا من درجة المستشار نظرًا لأقدميته في القوات المسلحة التي صاحبها معه حين التحق بالسلك الدبلوماسي، وقد عمل مستشارًا في السفارة المصرية في هولندا من نوفمبر ١٩٥٧ حتى يونيو ١٩٥٩ وفي بداية تلك الفترة قام بعمل السفير!! ثم انتقل إلى اليونان من يونيو ١٩٥٩ وحتى أكتوبر ١٩٦٠، وانشغل بالقضية القبرصية مما رشحه للانتقال إلى قبرص منذ أكتوبر ١٩٦٠ وحتى ١٩٦٢ وهي فترته الأولى في قبرص .

ضياع الدولة التي عين سفيرًا لمصر فيها

نقل السفير صلاح شعراوي إلى القاهرة و حلّ عليه الدور ليصبح سفيرًا في زنجبار ، بيد أن الحرب قامت فيها وضاعت الدولة بسبب الحقد الخفي الذي كان عبد الناصر يكنه للإسلام والوجود الإسلامي في أفريقيا ملتقيًا في هذا مع الاستعماريين والشيوخيين و كل أعداء الإسلام فضلًا عن أذئابهم.

وهكذا وجد السفير صلاح شعراوي نفسه بلا وظيفة، والسفراء لا يعينهم إلا الرئيس نفسه، هكذا قال له محمود رياض، حسب روايته، وبذلك بحث عن وظيفة

أخرى ، ففضل أن يعمل مع محمد مراد غالب سفيرنا في موسكو، وأصبح وزيراً مفوضاً في موسكو.
وكان بهذه الصفة من الذين حضروا المداولات والمشاورات واللقاءات التي سبقت حرب ١٩٦٧.

وقد انتقل بعدها ليعمل في قبرص من يناير ١٩٦٩ وحتى إبريل ١٩٧٣ .
وفي إبريل ١٩٧٣ اختير ليعمل مع محمد حافظ إسماعيل في مكتب الأمن القومي الذي تشكل قبل حرب أكتوبر ١٩٧٣ واشترك في تسيير أمور هذه الحرب.
وبعد الحرب اختير سفيراً في المكسيك ما بين يناير ١٩٧٥ وأكتوبر ١٩٧٩، ثم عاد للوزارة ليعمل في مكتب الوزيرين، حسب نظام تلك الفترة، وعين بعد هذا سفيراً في ألمانيا الديمقراطية من ديسمبر ١٩٨٢ وحتى ديسمبر ١٩٨٤ .

الفقرة التي انفرد بها مبكراً والتي تفسر موقف اشرف مروان

يبدو لي أن أهم فقرات مذكرات السفير صلاح شعراوي هي تلك التي تتعلق بموقف مكتب مستشار الأمن القومي برئاسة محمد حافظ إسماعيل ، حين كان هنري كيسنجر يلح بينما هو في الحقيقة يلهث من أجل وقف إطلاق النار في حرب أكتوبر، وقد تعمد السفير صلاح شعراوي ألا يغفل ذكر الواقعة، وألا يذكر معلوماته الكاملة عنها بالتفصيل. ويبدو أن هذه الواقعة كفيلة تماماً بإدانة الدور الذي قام به شخص مثل أشرف مروان ضد مصلحة بلاده في حرب أكتوبر، وهو دور لم يعرف إلا بعد أكثر من ثلاثين عاماً، لكن الإشارة السريعة التي ذكرها السفير صلاح شعراوي كانت كفيلة بأن تثير فضول الباحثين عن الحقيقة في هذا الشأن.

.... "في يوم ٢٠ أكتوبر ١٩٧٣ قام كيسنجر بزيارة للاتحاد السوفيتي وأعلن أنه بعدها سيتوجه إلى الصين الشعبية ، وذلك للتوصل إلى حل لإيقاف الضرب بين إسرائيل والدول المحاربة ، لكنه خرج من المفاوضات مع الاتحاد السوفيتي ، والتي وصفها بأنها كانت صعبة جداً ومتشابكة وأعلن أنه مضطر للبقاء في موسكو لجولات أخرى من المفاوضات."

"في ذلك اليوم أصدرت القيادة العامة المصرية بياناً حربياً مبشراً بالخسائر الفادحة التي ألحقتها قواتنا المسلحة بالجيش الإسرائيلي الموجودة في الثغرة، وبعد انتهائنا من العشاء توجه كل منا إلى مركز عمله".

الزيارة المريبة من أشرف مروان وعمله ضد وطنه

" وفي الساعة الثانية صباحًا أخبرني الزميل أحمد ماهر بأنه يشعر أننا سنوافق على إيقاف الضرب، حيث إن السيد أشرف مروان دخل حجرة نوم السيد حافظ إسماعيل وأنه سمعه تائراً يكلم نفسه عن إيقاف الضرب، وبالفعل نزل السيد إسماعيل متجهًا إلى قصر الطاهرة ، حيث مركز قيادة الرئيس السادات خلال الحرب وطلب من أحمد ماهر استدعاء موظف من مكتب C.I.A الملحق بالسفارة الأمريكية. بقينا في مكاتبنا منتظرين ما سيسفر عنه اللقاء ، والذي عاد في حوالي الساعة الرابعة صباحًا ، ولكنه اتجه إلى مكتبه مباشرة ، وبعد قليل سلم مندوب C.I.A برقية ليرسلها للمستتر كيسنجر في موسكو تفيد بقبول مصر لإيقاف الضرب."

استياء أحمد ماهر من الإسراع بوقف اطلاق النار

"جاءني الأخ أحمد ماهر مساءً لما حدث ووقفنا في حديقة قصر الحرية ، حيث توجد مكاتبنا. وأبدت له دهشتي من أن تقوم بإرسال هذه "البرقية في هذا الوقت المبكر وإنما لم (نهار) بالشكل الذي لا يجعلنا الانتظار حتى بزوغ الصباح. "

حافظ إسماعيل يحاول تطويق توجهات أشرف مروان

"وبعد قليل نزل حافظ إسماعيل وأخذ يحلل الموقف وذكر أنه ما دامت المعركة ستنتقل إلى الميدان السياسي والدبلوماسي؛ فإنه يجب أن يكون بجوار الرئيس مجموعة من الخبراء وعلى رأسهم الدكتور فوزي لمساعدته في اتخاذ القرارات الحيوية. وفي حوالي الساعة السادسة صباحًا تحرك السيد إسماعيل لتنفيذ ما أثاره." "لكننا شعرنا بعد ذلك بأن هناك في الأمر شيئًا؛ إذ وجدنا في مثل هذه الظروف الحرجة والحساسة أن السيد إسماعيل لم يتوجه إلى قصر الطاهرة كما هو مفروض"

قلق الدبلوماسيين وحافظ إسماعيل يقول له إن هناك عيالًا في البلد

" وبعد يومين توجهت إلى سيادته [لأفيد] بأن التقارير تفيد أن إسرائيل تواجه مقاومة بطولية في السويس وجبل عتاقة والأديبة، لكنني فوجئت بالسيد إسماعيل يلتفت لي ويقول: إن هناك عيالًا في البلد ، فأجبت أنه هذا شيء طبيعي، فهم

موجودون في كل موقع وعلى كل مستوى ، فذكرني بما قام به من طوافه على بعض الشخصيات ليكونوا قريبين من السيد الرئيس ، ثم أضاف بأن البعض منهم أفهم الرئيس بأن حافظ إسماعيل يجمع فكرًا معارضًا." " والبعض الآخر قال للسيد الرئيس ما كان يود أن يقوله ، ولكن على لسان حافظ إسماعيل ، وفي اليوم التالي وضح للسيد الرئيس حسن نية حافظ إسماعيل وإخلاصه وانتهت الأزمة."

الانفراد الثاني : موقف محير للسوفيتي في بداية الحرب

على أن السفير صلاح شعراوي لا يتغاضى عن الإشارة إلى شعوره أو استيائه من موقف غامض للرئاسة السوفيتية في بداية حرب أكتوبر ١٩٧٣ ، وقد أحسن السفير صلاح شعراوي صنعًا بذكر هذه الواقعة التي تدلنا على مدى التأمر الذي مورس على المصريين وقائدهم في بداية حرب أكتوبر ١٩٧٣ ، وهو تأمر كان كافيًا لأن يسلب القيمة في كل انتصار والجدوى في كل تقدم لولا أن الله سبحانه وتعالى ألهم المصريين أن يستمروا في نجاحاتهم التي كانوا قد بدأوا بالعبور.

قصة البرقية السوفيتية الغامضة

كتب السفير صلاح شعراوي تحت عنوان " برقية غامضة من الرئاسة السوفيتية يتساءل عن السبب في تصرف مفاجئ بنى نظرتة على افتراض لم يحدث ، و لا يزال هذا التصرف من التصرفات المحيرة لكاتب التاريخ الى ان تظهر الوثائق الكفيلة بفك اللغز :

"في اليوم الأول من حرب أكتوبر حققت مصر نجاحًا بارعًا في عبور قناة السويس وبداية تدمير خط بارليف ، أما على الجبهة السورية فقد استطاعت القوات السورية استرداد ما يقرب من ٨٠ % من الجولان وفي مساء يوم ٧ أكتوبر طلب السفير السوفيتي مقابلة السيد الرئيس أنور السادات وأفاده بأن القيادة السوفيتية تلقت برقية غامضة من الرئاسة السورية تتساءل فيها :ماذا يستطيع الاتحاد السوفيتي القيام به إذا ما استطاعت العسكرية الإسرائيلية استعادة قوتها"

" بدت الدهشة على الرئيس السادات بأنه لم يتلق أي أخبار بهذا المعنى من الرئاسة السورية وتساءل هل تقصد سوريا إيقاف الضرب ، وهو أمر لا يمكن الموافقة عليه".

"في يوم ٨ أكتوبر استعادت القوات الإسرائيلية جانبًا كبيرًا مما استولت عليه سوريا. وفي الوقت نفسه عاودت سوريا إرسال برقية مثل البرقية السابقة. عاد السفير السوفيتي في القاهرة لمقابلة السيد الرئيس الذي ثار على غموض هذه البرقية، وكان رده حاسمًا أنا لن أوافق على إيقاف الضرب إطلاقًا ولو اتفقت عليه سوف يوجه جنودي أسلحتهم تجاهي وليس تجاه إسرائيل."

شعور مكتب الأمن القومي قبيل حرب أكتوبر

من أبلغ ما يصور الحالة النفسية الحرجة التي كان المصريون قد وصلوا إليها قبيل حرب أكتوبر ١٩٧٣، هو ذلك السرد الصادق الذي يرويهِ السفير صلاح شعراوي عن الجو الذي ساد مكتب الأمن القومي الذي ألحق برئاسة الجمهورية في مقر خاص تحت قيادة محمد حافظ إسماعيل، وضم عددًا من خيرة الدبلوماسيين. وهو هنا يصور موقفه وموقف زملائه بعد أن استمعوا إلى محمد حافظ إسماعيل نفسه صباح يوم السادس من أكتوبر وهو يحدثهم عن المسار المتوقع للهجوم المصري والحرب المرتقبة في ذلك اليوم وهم يحبسون أنفسهم وهم منعزلون عن الدنيا حتى أتاهم من أخبرهم ببشائر النصر فتحسب لصدمتهم بالخبر المفرح وطلب منهم ألا يبادروا بسبه (ألا يشتمه أحد).

الإحساس بالنشوة البالغة مع الفرحة بالعبور

نقرأ ما يصور به السفير شعراوي انطباعاتهم في ذلك اليوم حيث يقول: "... بعد سماعنا لما قاله السيد حافظ إسماعيل دخلنا في حالة سكون وتفكير وامتزجت مشاعرنا بين الأمل في ضرب إسرائيل ورد شرف مصر ومشاعر الخوف من الأداء العسكري، وأيضًا القلق على قواتنا وما سوف تلاقيه من خسائر بشرية في عملية العبور، والتي تعتبر في حكم العلم العسكري من أصعب وأعقد العمليات." "واستمر الحال على هذا المنوال، واختصرت الأحاديث، حيث كان الكل يفكر ويأمل ويخشى، وزاد من قلقنا أننا لم نسمع أي خبر من الإذاعة عن القتال أو تطوره. إلى أن ظهر زميلنا المكلف بالاتصال بمركز (١٠). (مركز قيادة المشير أحمد إسماعيل) في حوالي الساعة السادسة والنصف مساء فالتفت الأعناق تجاهه تترقب بلهفة ماذا لديه من أخبار"

"وقف الزميل على مدخل القاعة، لكنه بدأ كلامه برجاء غريب، وهو ألا يشتمه أحد لما سيقوله من أنباء .
"وسألنا: ما الداعي لهذا الطلب ؟ فكانت إجابته أن ما سنسمعه لن يصدقه أحد لأن قواتنا عبرت القنال واستولت على إحدى عشرة نقطة حصينة ، لزمنا السكون لكن فوجئنا بصوت أحد الزملاء يسبه ويصيح قائلاً : ها نرجع ثاني لسنة ١٩٦٧ ، فرد عليه الزميل لماذا لا نتأكد من كلامه بأن نسأل السيد المستشار حافظ إسماعيل، وبالفعل توجهت إلى مكتب سيادته، فوجدت على وجهه الصارم معالم السرور والانشراح قائلاً: لقد سقط في الساعة الأخيرة موقعان آخران أي أننا استولينا على ١٣ نقطة حصينة."

تعبير مذهل في جماله : أنفاسنا محبوسة لسبع سنوات

"عدت بهذه الأخبار العظيمة، واستطعنا التقاط أنفاسنا ، والتي بقيت محبوسة طوال "السنوات السبع" "العجاف".

جهوده في الاتحاد السوفييتي : الفشل في تطوير العلاقات

نتنقل إلى الموضوع الرئيسي في هذه المذكرات وهو تطورات العلاقات السوفيتية المصرية. و ربما نبدأ حديثي عما تناوله السفير صلاح شعراوي من جوانب العلاقات السوفيتية المصرية بما نعتبره نحن أهم جوانب هذه العلاقة، وهو لجوء حكومة مصر في كثير من علاقاتها إلى البحث عن شماعة للفشل، فهي حين تفشل في إدارة مرفق ما من المرافق تلقي باللوم على العاملين لا على الإدارة، وحين يتكرر الفشل تلجأ إلى الخبراء الأجانب لا إلى الخبراء الوطنيين، وحين يفشل الأجانب بسبب تقييد أيديهم تتهمهم بالفشل بدلاً من أن تعدل القوانين والمحسوبيات المعروفة في النظام العسكري.

انتباه السوفييت المبكر لعيوب قوانين العمل المصرية

وهذه هي الرواية التي تدل على هذه المعاني كلها فيما يرويه السفير صلاح شعراوي بطريقة عارضة عن حفل السفارة المصرية في موسكو:

"في حفل السفارة التي أقامته احتفالاً بالعيد القومي يوم ٢٣ يوليو ١٩٦٦ ، اختلى بي نائب رئيس العلاقات الاقتصادية الخارجية وقال "أرجوك تبليغ ما سأقوله لك ولرؤسائك بالطريقة التي تراها مناسبة. لقد صرح رئيس وزراءكم السيد زكريا محيي الدين في مجلس الأمة بأن نسبة الغياب في شركة الحديد والصلب بحلوان بلغت تقريباً حوالي ٢١٪ ، الأمر الذي جعلكم تطلبون منا القيام بإدارة المصنع. نحن غير عاجزين عن القيام بهذه المهمة ولكن سبق أن لجأت مصر لشركات ألمانية كشركة كروب وشركة أخرى متخصصة لإدارة الأعمال الهندسية ، لكنهما فشلا ، ليس لعجزهما بل لأن قوانين العمال عندكم تعطي حقوقاً ولم تقرض على العمال واجباتهم. ورغم أننا دولة عمالية تقف دوماً في صف العمال ، إلا أننا لا نستطيع إدارة هذا المصنع إلا بقوانيننا. فعندنا إذا بلغت نسبة الغياب في إحدى المؤسسات ١٪ نقوم بمساءلة ثلاث جهات :إدارة المصنع ،ولجنة المصنع النقابية ، ولجنة الحزب بالمصنع ، ومن ثم فنحن قد نعتذر عن طلبكم ما لم تضعوا قوانيننا في الاعتبار." "أشرت إليه أنني لن أتأخر في توصيل هذه الرسالة ، ولكنني أعتقد أنه أكثر اتصالاً بالمسؤولين في مصر ، فأجاب أنهم أحياناً لا يقبلون النقد".

دعوته للقاء مفاجئ مع كوسيجين

قدم السفير صلاح شعراوي وصفاً في منتهى الدقة لمشاعر رئيس وزراء الاتحاد السوفيتي كوسيجين حين أنهى إليه موافقة الاتحاد السوفيتي على تزويد مصر بالقمح في ١٩٦٥ ، وتنبه له أن هذا القمح من لحم الاتحاد السوفيتي الحي دون أن تنتبه مصر وسلطاتها لهذه الحقيقة على الرغم من أن الرئيس عبد الناصر زار موسكو في الشهر التالي ونال هدايا سوفيتية بمناسبة هذه الزيارة :

.... "في يوم السبت الموافق ٦ يوليو ١٩٦٥ توجهت للسفارة بعد الظهر لإنجاز بعض الأعمال وكنت في هذه الفترة قائماً بأعمال السفير نظراً لقيام السيد السفير بإجازته السنوية وبينما كنت في حديث مع أحد الزملاء فوجئت بتليفون في حوالي الساعة الخامسة والدقيقة الأربعين وإذا بالمتحدث شخص من الكرملين يطالبني بالتوجه فوراً لمقابلة كوسيجين رئيس وزراء الاتحاد السوفيتي."

"وكان الطلب وتوقيته مفاجأة لي حقاً. إذ إنه كان بعد ظهر يوم سبت والمعروف لدينا جميعاً أن السوفييت يقدسون إجازة آخر الأسبوع. ثم ما بال رئيس الوزراء

يطلبني على هذا الوجه من السرعة وفي هذه الساعة، فاعتذرت للمتحدث قائلاً له إنني مضطر للتوجه للمنزل لتغيير ملابسني وسأحضر فوراً، فوافق على هذا." "وكان هدفي من ذلك إتاحة الفرصة لنفسني لالتقاط أنفاسني ، ومحاولة معرفة سبب هذه المقابلة العاجلة جداً .

- هل هي تتعلق بالموقف في الجزائر؟ حيث إن "بن بلا" قد أطيح من منصبه من أيام سبقت .
- هل تتعلق بشيء خاص عاجل بالموقف بين مصر وإسرائيل .
- هل ارتكب أحد منا وليكن سفيرنا شيئاً يستوجب هذا الاستدعاء .
- سألت زميلي عما إذا كان لدينا شيء من القاهرة يتطلب مقابلة كوسيجين"

كوسيجين يخبره بالموافقة على تزويد مصر بالقمح

ثم إن السفير صلاح شعراوي بعد هذا التشويق المعقول يروي حديثاً جاداً لكوسيجين رئيس الوزراء السوفيتي :
"وبعد أن شربت فنجاناً من القهوة أسترد به أنفاسني توجهت إلى الكرملين ، حيث قابلني على مدخله أحد رجال الحرس ، وقادني فوراً إلى حجرة مكتب كوسيجين ودخلتها وكانت حجرة طويلة، وفي آخرها منضدة يقف بجوارها رئيس الوزراء السوفيتي بوجهه الصارم، فاستعدت بالله، وطلبت ستره ومعاونته."
"ويبادرني كوسيجين بقوله إنه عندما كان نائب رئيس الوزراء السوفيتي بالقاهرة، طلب منه رئيسكم عبد الناصر إمداده بكميات من القمح نظراً لقرب نفاد المخزون لديكم. وأنت تعلم دقة موقفنا من هذا الموضوع ، حيث إننا استوردنا عشرات الآلاف من الأطنان هذا العام لعجز محصولنا، ولكن نظراً للصدقة بين الشعبين ولعلمنا بحساسية هذا الموضوع وأهميته البالغة ، فقد أصدرنا تعليماتنا بتوجيه ٣٠٠ ألف طن بصفة عاجلة لكم ، بل أمرنا المراكب المتوجهة إلى الموانئ السوفيتية بتحويل مسارها إلى الإسكندرية لتفريغها"
"أما بالنسبة للثمن ، فهذا يمكن الاتفاق عليه فيما بعد، كانت الكلمات المتدفقة من فم كوسيجين، عبارة عن مفاجآت متتالية لي"

كوسيجين يصف القمح بأنه من لحم الاتحاد السوفييتي الحي

يروى السفير صلاح شعراوي رد فعله بصراحة فيقول:
" وبعد برهة أجبته بأن شعبنا الذي وجد معونة الاتحاد السوفييتي في بناء سده العالي، لن يسعه إلا أن يقدم شكره الجزيل له، خاصة وأن كل حبة قمح سوف تصل إلى فم كل واحد منه. وأني سوف أبرق فورًا لحكومتي بهذه المعلومات ، فما كان من كوسيجين إلا أن مسك صدره بيده اليمنى قائلاً : "نعم فإن هذا القمح من لحمنا " كانت مصر تستورد القمح من الولايات المتحدة إما بالثمن أو عن طريق مشروع المساعدات الغذائية. وحدثت اتصالات عديدة من الجانب المصري، لكن الأمريكان سوفوا في الرد حتى وصل الاحتياطي الاستراتيجي ما يكفي لمدة ١٥ يومًا عندما اعتذرت أمريكا عن إمداد مصر بالقمح ، الأمر الذي دفع عبد الناصر للتقدم بطلبه.

صلاح شعراوي يتحدث بلا اهتمام عن إهداء عبد الناصر الآثار

يتحدث السفير صلاح شعراوي عن هذا الموضوع ببساطة شديدة شأنه في هذا شأن كل الذين لا يقدرون قيمة الآثار المصرية حق قدرها :
"قام الرئيس عبد الناصر بزيارة رسمية إلى الاتحاد السوفييتي في أغسطس ١٩٦٥ وكانت الزيارة ناجحة بكافة المقاييس . إذ تنازل السوفييت عن نصف مليار جنيه حسابي من الديون العسكرية كهدية لعبد الناصر بمناسبة هذه الزيارة. أما هدية مصر فكانت أنية من اللوبستر من مخازن حفريات سقارة."

اهتمام السوفييت بتلبية طلبات مصر الاستراتيجية

ويتحدث السفير صلاح شعراوي بصراحة بالغة عن جانب آخر من الفوائد التي حاولت مصر أن تستخلصها من الاتحاد السوفييتي تحت مظلة ما أبداه السوفييت من اهتمام بالغ بتلبية طلبات مصر الاستراتيجية في شهر العسل الطويل الذي شهدته العلاقات بين مصر والسوفييت، وهو يشير إلى النجاح الذي حققه الدكتور القيسوني في هذا الميدان ثم إلى الاستسهال الذي جعل المصريين يحاولون الاتكال التام على الاتحاد السوفييتي في توفير احتياجات مصر البترولية، وهو اتكال غير مبرر لم يكن يدفع إليه إلا إحساس الوزراء المصريين بمقابل التبعية.

السوفييت يساعدوننا بما ندفعه من تعويضات لليونان والإيطاليين

ونحن نقرأ في هذه المذكرات ما يدلنا على مدى التحمل والصبر الذي أبداه الساسة السوفييت تجاه مثل هذه الطلبات الناصرية الملحة والمتوالية:
... "لم يكن في الميزان التجاري المصري الروسي أي بند يتعلق بالبتترول ، ولكن ظهرت حاجة مصر لبتترول خام تقوم هي بتكريره وبيعه ، على أن يخصص عائد البيع لتغطية تعويضات أبناء الجاليات الإيطالية واليونانية."

زيارة القيسوني إلى موسكو وحصوله على البترول الروسي لمصر

... "وإزاء هذه الحاجة قام السيد الوزير القيسوني بزيارة إلى موسكو وعاد معه وعد بأن الاتحاد السوفيتي سوف يضع تحت تصرفه ١,٢ مليون طن زيت خام ، وخلال مقابلته لوزير التجارة السوفيتي أبدى رغبته في زيادة الكمية مليون طن أخرى، وكان رد الوزير إنه لا مانع لديه ، لكنه لا يستطيع إقرار ذلك بمفرده ، ونصحه بأن يثير هذا الموضوع مع رئيس الوزراء كوسيجين عند زيارته له ، حيث إن البترول الروسي هو المورد الرئيسي للعملة الصعبة. كما وعده بأنه إذا سأله كوسيجين عما إذا كان المركز البترولي الروسي يسمح بذلك فسوف يجيبه بالموافقة." "وبالفعل حقق الدكتور القيسوني هدفه وارتفع رصيد مصر من الواردات البترولية الروسية في الميزان التجاري من صفر إلى ٢,٢ مليون طن" ... "بعد حوالي شهر فوجئت السفارة ببرقية من وزارة الاقتصاد بمطالبة الاتحاد السوفيتي بمليون طن أخرى!!! وبالطبع رُفض هذا الطلب".

المذكرات تنتقد خفة الوزراء المصريين في مايو ١٩٦٦

نأتي إلى واقعة مروعة في دلالتها (ولا يمكن وصفها بلفظ أقل من هذا اللفظ) ولا يمكن لقارئ أن يسامح فيها المسؤولين المصريين وعلى رأسهم الوزير الذي لم يشأ السفير صلاح شعراوي أن يذكر اسمه، وهي واقعة دالة على مدى خفة وزراء عهد الثورة في تناول القضايا التي هم مسئولون عنها بحكم تخصصهم ، ونحن نقول هذا على الرغم من التحامل الظاهر في رواية السفير صلاح شعراوي، وهو تحامل

مبرر بما وجده مما نعرفه من التعالي المشهور عند أمثال هؤلاء المسؤولين في عهد حكم الفرد :

"في مايو ١٩٦٦، فوجئت السفارة ببرقية تفيد بأن وفدًا اقتصاديًا كبيرًا برئاسة أحد السادة الوزراء سيزور موسكو بعد يومين. واستطاع الوزير المفوض التجاري معرفة سبب زيارة الوفد وأخبرني بأن المستر جروميكو عند زيارته لمصر في مارس ذلك العام علم بصعوبة الموقف الاقتصادي بمصر وحاجتها إلى قمح ومواد خام لزوم مصانعها. وأنه أوضح للمصريين صعوبة مركز القمح في الاتحاد السوفيتي واقترح تخفيفًا لهذا العبء أن تقوم مصر بشراء موادها الخام اللازمة من الاتحاد السوفيتي بقيمة الدين العسكري على أساس إعادة جدولته في السنوات التالية، وتشترى مصر قمحًا من السوق الحرة من الخارج ."

"وحيث إنني كنت قائمًا بالأعمال بالنيابة ، فقد توجهت لاستقبال الوفد، وخلال انتظارنا للحقائب سألت السيد الوزير عن الهدف من الزيارة لأتأكد مما توصل إليه الوزير المفوض التجاري فكان رده غريبًا : "بكرة ها تعرف في المفاوضات" فسكُت على مضض .

قائمة طلبات مصر في حقبة سفر كبيرة

ونمضي مع الرواية لنرى ما يمكن وصفه بأنه الدلال الزائد :

"وفي اليوم التالي وفي جلسة الافتتاح فوجئ الجميع بأحد الزملاء يدخل قاعة الاجتماع بحقيبة سفر جلد كبيرة ، والتي فتحها وأخرج منها ثلاث مجموعات كبيرة من المطبوعات. وبعد كلمات الترحيب والإشادة بالتعاون بين البلدين، قال الوزير إنه أحضر معه طلبات مصر متمثلة في هذه المطبوعات، وأنه يأمل في الحصول على رد خلال أسبوع."

"وهنا سأله الوزير الروسي : و بكم تقدر هذه الاحتياجات من الناحية المالية ؟ فرد الوزير المصري أنه يقدرها بمليار وثلاثمائة مليون جنيه حسابي"

"وفوجئنا بالوزير الروسي يتكلم باللغة الإنجليزية : "إنني سوف أقع من على الكرسي" وكرر رقم الوزير المصري ، ثم أضاف وأنا لا أستطيع الرد عليكم قبل أسبوعين حتى لو جندت كل أعضاء وزارتي لدراستها ، ولذلك أنصح سيادتكم بالعودة إلى مصر وسنوافيكم بما يمكننا القيام به. ورد الوزير المصري بأنه مطالب

بالعودة لمصر ومعه الرد السوفيتي ، ولذلك سوف يبقى أسبوعًا واضطر السوفييت إلى عمل برنامج ترفيهي لهم بزيارة ليننجراد ، وبعد عودتهم صرحت لهم شخصية روسية (ألم توحشكم عائلاتكم) وكأنها دعوة صريحة لهم بالعودة لمصر ."

الوزير لم يعرف الهدف من زيارته

ثم يردف السفير صلاح شعراوي بشيء من الأسف الظاهر :
"أضيف بأن وزيرًا مصريًا آخر قام بزيارة لاحقة لموسكو فعرضت عليه ما حدث. فكان رده: للأسف لم يعرف الوزير الهدف من زيارته؛ إذ إنه تعرض لاحتياجات مصر في الخطة الخمسية."

تقييم صلاح شعراوي للعلاقات العسكرية مع الاتحاد السوفيتي

يقدم السفير صلاح شعراوي بحكم جمعه بين العسكرية والدبلوماسية تقييمه الموضوعي أو الانطباعي للعلاقات العسكرية بين الاتحاد السوفيتي ومصر ودور السوفييت في تسليح الجيش المصري وتدريب بعض ضباطه.
وفي رأينا فان السفير صلاح شعراوي يبدو منصفًا إلى أبعد حدود الإنصاف، على خلاف ما نرى من كثيرين من الضباط أو الدبلوماسيين الذين يحبون أن يظهروا [من باب الشياكة] على أنهم غريبو التوجهات والطباع.
" .. لا يمكن أن ينكر أحد قيام الاتحاد السوفيتي بتسليح الجيش المصري وتدريب عدد كبير من ضباطه من مختلف الرتب منذ عام ١٩٥٥ ولم يكن هذا التسليح عبئًا على الاقتصاد المصري بل كان قسط التسليح يسد من فائض الميزان التجاري الذي كان في ذلك الوقت يحقق فائضًا سنويًا. ولم تكن المساعدات التالية لحرب ٥٦ وحرب ٦٧ هي الصفة المميزة لهذا التعامل ، بل إن أسعار الأسلحة كانت في أقصى حالات التدني ويكفي أن الطائرة ميج ٢١ كان يبيعها لنا مقابل ٢٥٠ ألف جنيه حسابي."

حديثه الصريح عن انعدام الثقة بين مصر والسوفييت

يتحدث السفير صلاح شعراوي حديثًا صريحًا عن انعدام الثقة بين الجانبين :

"لكن رغم هذا فلم تكن هناك ثقة من الجانبين في عملية الإمداد وسرعة الاستجابة للطلبات، وأطلت هذه المشاعر بظلالها على العلاقات بين البلدين ولكنني أعتقد أن كليهما يتحمل جانباً من هذه المشكلة:

- فالجانب المصري كان دائم الشكوى من تأخير الاتحاد السوفيتي لشحنات الأسلحة، أو أن ما يعرضه على الجانب المصري أقل مما توصلت إليه التكنولوجيا العسكرية ويقارن الجانب المصري هذا الأسلوب بالأسلوب الذي تقدمه الولايات المتحدة للترسانة العسكرية الإسرائيلية من حيث الكم والكيف .
- أما الجانب السوفيتي ، فقد كان محور تفكيره في هذه المشكلة هو تخلف الجيش المصري عن استيعاب الأسلحة المقدمة له ، وهو ما أدى إلى انكساره في ميدان العمليات العسكرية، الأمر الذي أدى إلى أن القوات المسلحة الروسية بدأت تفقد الثقة في كفاءة سلاحها. وقد أقر بذلك المستر بريجنيف للسيد علي صبري عندما قام الأخير بزيارة الاتحاد السوفيتي في أعياد أكتوبر ١٩٦٧، بل بلغ التأثير على بريجنيف خلال هذه المقابلة بأن اغرورقت عيناه بالدموع.
- كما تولد إحساس لدى السوفييت بالخوف من اندفاع المصريين لرد شرفهم من هزيمة ١٩٦٧، دون استيعابهم الكامل لما يتطلبه التدريب في كل مرحلة من مراحلها. ولذلك كانوا يطلبون مد فترة التدريب في كل مرحلة أكثر من المعدل المتوسط وعندما تتولد لديهم القناعة بحسن أداء القوات المسلحة ينتقلون بمستوى التدريب والتسليح إلى مستوى أعلى. ولذلك وجه لهم الاتهام ، بل كانوا يتعمدون العرقلة في تلبية الاحتياجات.

القيادة السوفيتية لم تدرك ما طرأ على القوات المسلحة من تغيير

وفي مقابل هذا كله ، فمن الإنصاف لأنفسنا أن نشير إلى حديث السفير صلاح شعراوي الصريح عن عجز السوفييت عن فهم التطورات التي حدثت في عهد السادات وعلى يديه فيما قبل حرب أكتوبر ١٩٧٣ :

"في الوقت نفسه لم تدرك القيادة السوفيتية ما طرأ على القوات المسلحة المصرية من تغيير، سواء في قيادتها أو في نوعية أفرادها التي تغلفها روح الانتقام والرغبة

في رد شرف القوات المسلحة، والتي انعكست على الإقبال على التدريب الشاق والانضباط العسكري بروح معنوية عالية. ومن هنا نشأت الفجوة بين العقليتين. ورغم هذا، استمر التعاون العسكري حتى أواخر السبعينيات".

حديثه عن موقف موسكو من إرهابات حرب ١٩٦٧

إذا ما انتقلنا الآن إلى القضايا المتعلقة بالأحداث التاريخية التي ارتبطت بالعلاقات مع السوفييت فإننا نستطيع ان نقول ان فترة إرهابات حرب ١٩٦٧ قد شغلت مساحة كبيرة من مذكرات السفير صلاح شعراوي بحكم مشاركته في تعاقب الأحداث من موقعه في سفارة مصر في موسكو وزيراً مفوضاً مع السفير محمد مراد غالب، لكننا نلاحظ أن رؤية السفير صلاح شعراوي للأحداث لا تزال متأثرة بروح الإحباط واليأس الذي أصاب كل مصري في هذه الفترة.

و مع أن السفير صلاح شعراوي يروي كثيراً مما يعلمه كل الناس وقليلاً مما لم يعلمه إلا بعض الناس ومنهم هو نفسه، فإنه يبدو فيما يرويه متأثراً ببعائه المبرر والمنطقي لشمس بدران، وهو عداء طبيعي ومتوقع من أمثاله من السابقين على شمس بدران الذين فوجئوا بوجود شمس وزيراً للحربية دون أن يؤدي حق هذا المنصب وبخاصة في مقابلاته مع القادة السوفييت مثلاً.

وهو لا ينسى مثلاً أن يشير إلى أن شمس بدران حضر للقاء هؤلاء القادة السوفييت بالقميص والبنطلون والشبشب في رجله، وأنه فهم مجاملتهم له على أنها وعد بالدخول في الحرب إلى جانب مصر.

عرضه لزيارة شمس بدران الشهيرة

ننقل للقارئ بعض الفقرات المهمة من حديث السفير صلاح شعراوي المتشعب عن تلك الزيارة :

.... " وفي يوم السبت ٢٦ مايو (يقصد ٢٧) حضر وزير الحربية شمس بدران في زيارة عاجلة لمدة ثماني وأربعين ساعة لمقابلة المسؤولين السوفييت ، وفي يوم عودة الوفد توجهت لقصر الضيافة. وكنت في استقبال المارشال جريتشكو وزير الحربية السوفيتي ، والذي جاء بخلته العسكرية لمقابلة الوزير شمس بدران ، والذي قابله بالقميص والبنطلون.. وشبشب في قدميه. وانتهت الزيارة وتوجهنا للمطار

لتوديع الوفد. وحضر جريتشكو للمطار وشد على يد الوزير شمس وردد عبارات المجاملة والتأييد وأن الاتحاد السوفيتي سيقف دوماً مع مصر. ولم يذكر إطلاقاً كلمة سنحارب معكم أو شيء من هذا القبيل".

"وبعد التوديع رافقت السيد السفير في عودتنا للسفارة وسألته عن أحوال الزيارة. وكان السفير في حالة ضيق شديد ورد عليّ بأن شمس بدران كان يرد على تساؤلات القيادة السوفيتية السياسية والعسكرية عن سلامة الإجراءات التي اتخذتها مصر في سيناء بأن الحرب ستقع لا محالة في ذلك. وأن شمس بدران أجاب بأن مصر مستعدة تمام الاستعداد لمواجهة الموقف وأن خطوط الإمداد قد انتظمت، وأنه تم زرع حقول الألغام، وأنه قد وضعت الخطط لضرب اقتراب العدو."

"وإزاء ما رده الوزير شمس بدران سألته القيادة السوفيتية عن سبب زيارته، فكانت إجابته لطلب السلاح، ورد السوفييت أنه في مثل هذه الظروف الدقيقة الحاسمة كان الأولى به البقاء في مصر وإرسال شخصية أخرى لهذا الطلب. علاوة على أن تنفيذ هذه الطلبات سوف تتطلب أسابيع إن لم تكن شهوراً، وأن الأحداث والوقت أسرع من قدرتهم على تلبية طلباته فوراً."

إعلان الرئيس عبد الناصر أن الاتحاد السوفيتي سوف يحارب معنا

تحدث السفير صلاح شعراوي بوضوح كاف عن مشاعره وذكرياته حين تورط الرئيس عبد الناصر بنفسه في الإعلان عن أن الاتحاد السوفيتي سوف يحارب إلى جوارنا ، ومن العجيب أن معظم أدبياتنا تقفز قفزاً رشيقاً على هذه الواقعة التي يثبتها السفير صلاح شعراوي بسلاسة وهو يقول إنها حدثت في لقاء الرئيس عبد الناصر مع البرلمانين يوم الإثنين ٢٩ مايو ، أي قبل الحرب بأسبوع بالضبط:

....."في اليوم التالي لوصول الوزير شمس أي يوم الإثنين ٢٩ قابل عبد الناصر الأعضاء البرلمانين للاتحاد الاشتراكي وذكر خلال حديثه أن الاتحاد السوفيتي سوف يحارب معنا؛ فكان هذا الخبر بمثابة قنبلة في الأوساط العالمية وانزعجت الدول ومن ضمنها الاتحاد السوفيتي، إذ سوف تعاد الحسابات لمواجهة نتائج هذا التصريح. وتلقت السفارة في مساء ذلك اليوم برقية بأن حامل حقيبة دبلوماسية سوف يصل في اليوم التالي أي يوم الثلاثاء ٣٠ على الطائرة السوفيتية وعلى السفارة استقباله وتسليم الرسالة التي يحملها إلى السيد السفير فوراً."

"جاء حامل الحقيبة وسلم الرسالة للسفير وفي جلسة معه تكلم بكل فخر عن الروح المعنوية العالية للشعب المصري، وأن الانتصار سيكون لنا خاصة عندما يحارب معنا الاتحاد السوفيتي، انزعجت لهذا الكلام وأخبرته بأن الاتحاد السوفيتي لن يحرك ساكنا ، بالإضافة إلى أن مثل هذه المشاركة ستؤدي إلى نشوب حرب عالمية، وهو ما يتطلب اتخاذه لأوضاع عسكرية وتحركات لقواته بأسلحتها المختلفة على مستوى العالم ، وأنا لم نلاحظ أو نسمع شيئاً عن مثل هذه الإجراءات" .

الضغط العصبي الشديد الذي واجهته سفارتنا في موسكو

"بعدها بيومين عاد حامل الحقيبة إلى القاهرة حاملاً رد السفير ، والذي أفادني وهو ممتلئ غيظاً من تصور شمس بدران بأن بكلمات المجاملة التي ردها جريتشكو في المطار تعني مشاركة الاتحاد السوفيتي العسكرية في النزاع مع إسرائيل." "كانت السفارة وعلى رأسها السيد السفير تحت ضغط عصبي شديد، وأصبحت محط اهتمام أفراد السلك الدبلوماسي في موسكو، والذين كان تركيزهم على ماذا سنفعل وماذا سيفعل الاتحاد السوفيتي." "وكنا تحت هذا الضغط نتلقى الأخبار من الإذاعات الأجنبية دون أية توجيهات من القاهرة. عشنا أياماً قلقة قبل ذلك اليوم، حماس مشوب بحذر، وأمل ممزوج بخوف، ورغبة تظللها رهبة."

كيف عرف بقيام الحرب في ٥ يونيو

يذكر السفير صلاح شعراوي بكل صراحة ما نفهم منه أنه لم يعرف بقيام الحرب في يونيو إلا من خلال اعتذار موظف سوفيتي في قسم الشرق الأوسط عن لقاء مع دبلوماسي عراقي لأن الأحداث بدأت في الشرق الأوسط، على حين لم يكن هو و السفير يعلمان شيئاً، كما أن الاتصال بمصر دلّ على أن الأمور في مصر كانت قد بدأت في التغييب والتنويم، فلا أحد يعرف شيئاً محدداً، وإنما كان الرد على حد وصف السفير شعراوي باعتماداً على السخرية !! ولنقرأ هذا النص:

" جاء اليوم المشؤم ٥ يونيو، إذ بينما كنت في مكنتي اتصل بي المستشار بالسفارة العراقية حوالي الساعة التاسعة والنصف صباحاً ويقول بأنه كان على موعد مع

مسئول سوفيتي بقسم الشرق الأوسط بوزارة الخارجية السوفيتية ، إلا أن الأخير اعتذر عن [عدم] المقابلة ، نظرًا لأن الأحداث قد بدأت في الشرق الأوسط." "أبلغت السيد السفير الدكتور مراد غالب بالخبر، وأسرت السفارة بإرسال برقية عن طريق المحطة اللاسلكية الموجودة بها، ذكرنا فيها أنه قد بلغ السفارة أنباء عن بداية الأحداث في الشرق الأوسط برجاء الإفادة. وجاء الرد باعتمادًا للسخرية، إذ ورد فيه ما يلي: علمنا أن هناك غارات على بعض مطاراتنا.. وانتهى الرد."

تصوير مشاعر الترقب في السفارة نتيجة لسماع خبر نشوب الحرب

يجيد السفير صلاح شعراوي تصوير ما انتاب المصريين في السفارة المصرية في موسكو من مشاعر الترقب نتيجة لسماعهم خبر نشوب الحرب بين مصر وإسرائيل، فقد كان الدبلوماسيون يظنون أن بإمكان مصر أن تنتصر فقد كانوا بالطبع متأثرين بالدعاية الناصرية الضخمة التي سيطرت على الأجواء.

حواره المثير مع السفير مراد غالب و مصارحته السفير بمخاوفه

"أسرع أعضاء السفارة بإحضار أجهزة الراديو لسماع الأخبار وأصبحنا كلنا آذان، وقلوبنا ومشاعرنا ملهوفة على أرضنا الطاهرة ، وبدأ الحاضرون في الانصراف ، حتى بقيت منفردًا مع السفير، وإذا به يواجهني بسؤال: ما لي أراك متجهًا ومتحفظًا ؟ فقلت : بقدر ما زلت أتذكر من معلوماتي العسكرية، فإنني غير مستريح لصيغة البلاغات العسكرية ، والتي تركز على عبارة أسقطت وسائل دفاعنا الجوي. ومعنى هذا أن طائراتنا ليست في الجو؛ لأن الدفاع الجوي لا يستطيع العمل إذا كانت طائراتنا في الجو مشتبكة مع العدو؛ وعليه فنحن أمام احتمالين : إما أن تكون طائراتنا قد وزعت على المطارات السرية أو في المخابئ مستفيدين من الدرس الذي تلقيناه سنة ٥٦ ، وهذا ما أتمناه.. والاحتمال الآخر أن تكون المفاجأة الإسرائيلية شاملة خربت سلاحنا الجوي في مطاراته ، وهذا ما لا أتصوره ولا أتمناه لأن ذلك معناه حرمان قواتنا الأرضية في سيناء من أية حماية جوية وهذه مصيبة أخرى . استمع السفير لهذا التحليل بوجوم مكرراً قوله من قبل: إن عبد الناصر على حد معرفته كان لا يرغب في الحرب ومبديا استنكاره أو دهشته عن المسئول الذي استطاع أن يزيحه عن هذه العقيدة."

استنتاجه أن المعارك ليست بين طائرات وطائرات

يعود الدكتور مراد غالب السفير المصري بموسكو إلى السفير صلاح شعراوي ليستفسر منه عما أبداه من انطباعه السيء عن سير المعركة من واقع ما تضمنته البيانات العسكرية التي حسمت القول بأن المعارك ليست بين طائرات وطائرات وإنما بين دفاعات جوية وطائرات.

السفير يلزم حجرته بعد عودته من لقاء رئيس الوزراء

من المدهش أن نرى صلاح شعراوي وهو يروي أن السفير مراد غالب ذهب لمقابلة رئيس الوزراء السوفيتي وعاد محملاً بكل ما تثيره الهزيمة من همّ ، حتى إنه لم يستطع مواجهة أحد، وإنما التزم حجرته :

"وفي الساعة الرابعة بعد الظهر أخبرني السفير أنه متوجه لمقابلة المستر كوسيجين رئيس وزراء الاتحاد السوفيتي ، وبعد ساعة تقريباً عاد السفير وطلب مني إعادة التحليل الذي ذكرته عن معنى استخدام وسائل الدفاع الجوي وسألته إن كان قد علم شيئاً من زيارته، ولكن اقتصرته إجابته على كلمتين : ربنا يستر .

"وبعد ساعة توجه السيد السفير ومعه السفير السوري لمقابلة كوسيجين، لكن بعد عودته التزم حجرته ولم يخبرني بأية معلومات ، ولم أشأ مطالبته بإفادتي عما دار في المقابلة؛ لأنني شعرت أنه يحمل على صدره همّاً كبيراً. وجلست في السفارة أتابع الأخبار من كافة المحطات المحلية والعالمية. وفي أخبار الساعة الواحدة صباحاً أذاع راديو لندن أن الطيران المصري قد أصيب بضربة قاضية وهو قابع في مطاراته، وأن إسرائيل تعتبر أن هذا معناه حيازتها للنصر. "

وصفه لاهتراء الاتصالات بين سامي شرف و سفارتنا في موسكو

أجاد السفير صلاح شعراوي تصوير مدى الاكتئاب واليأس والهزة التي أصابت سفيرنا الدكتور محمد مراد غالب من جراء علمه بالهزيمة الساحقة التي مني بها الجيش المصري. كما صور أيضاً مدى الاهتراء الذي أصاب الاتصالات فيما بين مكتب الرئيس المصري في القاهرة (تحت قيادة سامي شرف) وما بين السفير المصري في موسكو والسفارة ، وذلك على الرغم من تعويل مصر على العون

السوفيتي في هذه الحرب، بينما هؤلاء المصريون في السفارة لا يعلمون عن سير الأمور في مصر أي شيء إلا ما يتناثر لهم من السفارات الأخرى والإذاعات المقلدة في الحديث بطبيعة ذلك العصر.

ما يرويه عن حوار بين السفير وسامي شرف

"وجاء السفير للمكتب في حوالي الساعة السادسة صباحًا، وأخبرته بما سمعته من إذاعتنا من أن بعضًا من قواتنا قد انسحبت من مواقعها الأمامية، ولكن البعض الآخر عبر الحدود الإسرائيلية ولم يعلق على هذه الأخبار، بل أمسك بسماعة التليفون وطلب محادثة السيد سامي شرف سكرتير الرئيس جمال عبد الناصر لشئون المعلومات، وبعد ساعة كان الأخير على الخط.

وأنا هنا أنقل للقارئ ما سمعته..

- يا سامي إيه حكاية الأخبار إللي سمعناها إمبراح.

- بتقول ما نصدقهاش كلها إزاي الكلام ده الكل كلمني عنها.

- غريبة يعني لسه واقفين.

- طيب المشير طلبني إمبراح، لكن الاتصال انقطع ولم أستطع الاتصال به فيه حاجة.

- شدوا حيلكم وأي خدمة."

ما رواه رئيس الوزراء السوفييتي للسفير المصري

ثم ينقل السفير صلاح شعراوي عن مراد غالب قوله له :

"أصل يا صلاح أنا لما رحنا لمقابلة كوسيجين بعد الظهر ذكر لي أن الطيران بتاعنا دمر أغلبه على الأرض وأن القوات المصرية في سيناء في موقف تحسد عليه، لكن غريبة أن سامي شرف ينكر..... الحالة بهذا الشكل، هل يا ترى بيظمني أم أنه ليس في كامل الصورة يا صلاح، بكرة ها تعرف حاجات غريبة عن بلدنا واللي نجح في إقناع عبد الناصر بالحرب يقدر يخبي عيه أي حاجة".

ثم يردف السفير صلاح شعراوي:

" أذكر هذا الحديث ولا أقصد إطلاقًا دفاعًا ولا هجومًا على أي شخص، ولكن أذكر الحقيقة".

أدواره في قبرص واليونان

صلاح شعراوي لم ينتبه إلى تخوف القبارصة من سياسة مصر

تتبنا مذكرات السفير صلاح شعراوي عن حقيقة مهمة (أدركها قبل سفره من اليونان إلى قبرص) تمثل السبب الحقيقي الذي لم يذكره بوضوح عن معاناته، وهو أن التدخل المصري في قضية قبرص (وقد كان في الأصل عداء لتركيا) جعل اليونان هي الأخرى تتحسب من مواقف مصر، وجعل قبرص نفسها في ضيق من تصرفات مصر، ومن ثم فإن اليونان على لسان وزير خارجيتها طلبت من السفير صلاح شعراوي أن يطلب من القبارصة الساعين للوحدة مع اليونان أن يكفوا عن هذا السعي!! وكان اليونانيين كانوا يبلغون شعراوي رسالة غير مباشرة.

الخارجية اليونانية تطلب منه الكف عن المطالبة بضم قبرص لليونان

ومن العجيب أن السفير صلاح شعراوي وجد الحال في قبرص قد تغير بما لا يدع له مجالاً لإبلاغ الرسالة التي لم يفهم أنها كانت موجهة للمصريين لا للقبارصة، وهو يروي قصة اللقاء مع وزير خارجية اليونان قبل سفره من اليونان منقولاً إلى قبرص:

".... وفي يوم قبل السفر استدعاني المستر بتسيوس مدير إدارة الشرق الأوسط لمقابلته وفوجئت عند وصولي لمكتبه بقوله إن المستر افيروف ينتظرنني في مكتبه. وبالطبع أخذت أفكر في الدافع لهذه المقابلة مع وزير خارجية رغم وجود السفير، وفاجأني المستر افيروف بقوله إنه علم بنقلي إلى قبرص ويود أن أحمل رسالة أنقلها لكل من أقابله في الجزيرة. أفاد بأنه يعرف مدى التقدير والحب الذي يكنه المجتمع اليوناني القبرصي وعلى رأسه الأسقف مكاريوس لمصر ورئيسها وأن هذا المجتمع يشعر بالثقة في آراء مصر وزعيمها، وبناء عليه فإنه يطلب مني أن أحاول تعريف أعضاء المجتمع اليوناني بالجزيرة أن يكفوا عن المظاهرات والاجتماعات التي تطالب بضم الجزيرة لليونان (وهي الحركة المعروفة "اينوسيس" أي الوحدة) لأن الوحدة لن تتحقق وأن اليونان قد تعبت من هذه القضية، سواء في المجال الدولي أو الداخلي، والتي أصبحت لعبة الأحزاب السياسية اليونانية، وأن لدى الدوائر اليونانية

شعورًا بالقناعة بأن الحل الذي توصلت له الأطراف المعنية وهو استقلال الجزيرة هو الحل الأمثل لها وأن الأوفق لهم الاهتمام بحل مشاكلهم السياسية والاقتصادية.

الرسالة موجهة للمصريين لا للقبارصة

"أود القول بأنني عندما وصلت لقبرص شعرت بأن هناك تحولًا جذريًا في التمسك بشعار الوحدة؛ إذ تولد لدى الكثيرين من القبارصة الشعور بالكيان الذاتي وأنهم أصبحوا عضوًا مستقلًا في المجتمع الدولي ، علاوة على أن أصبح منهم الوزراء والسفراء والبرلمانيون، ولذلك لم أكن في حاجة لبذل أي جهد في توصيل رسالة أفيروف للمجتمع القبرصي"

اليونان تؤلب مصر على مكاربوس

وتدلنا مذكرات السفير صلاح شعراوي على ما لا يعرفه المصريون من أن اليونان ظلت على الدوام تؤلب مصر على الاسقف مكاربوس الذي لم يكن مواليا لليونان ، ومن العجيب ان الرئيس عبد الناصر لم يكن معنيا الا بالتودد لليونان نكاية في تركيا بينما اليونان الرسمية متحفظة معه ، و بينما قبرص في غاية الضيق من موقفه الذي يريد التضحية بقبرص نفسها إرضاء لليونان بينما قبرص غير راضية عن هذا ، وهكذا كانت المحصلة النهائية لسياسة الرئيس عبد الناصر تقود إلى الفشل في الجبهات الثلاث مع أن المصريين لم يدركوا الحقيقة في عائد سياستهم:

- توكيد العداوة مع تركيا الرسمية .
- مغازلة اليونان بلا استجابة حقيقية ولا عائد.
- معاملة قبرص نفسها بما لا ترضاه لنفسها .

و من العجيب أن المصريين حتى الآن لا يعترفون بعناصر هذا الفشل المركب مستنديين الى ما كانوا يصادفونه دوما من حب هذه الشعوب الفطري او التاريخي لمصر و المصريين :

" وبعد شهر تقريباً وصل للسفارة ملخص برقية أرسلتها سفارتنا في أثينا تقول فيها إن وزارة الخارجية اليونانية استدعت سفيرنا هناك وأفادته بخطة مكاربوس الخادعة بأنه سيعين وزيراً متعاطفاً مع إسرائيل ويتاجر معها منذ مدة طويلة"

"لم أتوان في إبلاغ وزير الخارجية بالنيابة ، والذي كان أحد المتخوفين لتعيين ديمتريو وطلبت منه إبلاغ الأسقف بمضمون البرقية وبعد يومين ورغم أن الصحافة أكدت على أن ديمتريو سيكون وزيرًا للخارجية ، فوجئ الجميع بتعيين المستر خريستوفيدس ، الأمر الذي جعل السفير البريطاني يصرح بدهشته لهذا التعيين إذ إنه في اليوم السابق لنشر الخبر أرسل لوزارة الخارجية بخبر تعيين ديمتريو وهو الآن في مركز حرج أمام وزارته."

دهشته من أن الرئيس عبد الناصر لم يتحمس لتهنئة مكاريوس بنجاته

مع أن السفير صلاح شعراوي قام بما كان متوقعًا منه في شجب الاعتداء الذي وقع على الرئيس القبرصي في عهد الرئيس عبد الناصر ، والتعبير عن الفرح بفشله؛ فإنه كان حريصًا على أن يجعل مصر تبدي موقفها الرسمي أيضًا، فأبرق بهذا ، لكن أياما ثلاثة مرت دون وصول برقية من الرئيس عبد الناصر: "في يوم الحادث أرسلت برقية إلى الوزارة بها ملخصًا عنه وفي البند الرابع منها ذكرت أن برقية من السيد الرئيس سيكون لها وقعها الطيب على المستوى الشخصي والعام. وبالطبع لم تكن الصحافة على علم بزيارتي للأسقف يوم الحادث ، والتي قمت فيها على مسئوليتي بتقديم تهنئة الرئيس عبد الناصر. " وتوالت على الأسقف برقيات التهنئة من جميع زعماء العالم ، ولكن لم تنتشر عن وصول برقية الرئيس عبد الناصر ومرت ثلاثة أيام دون وصولها مما أثار تساؤل الجميع".

نيل المالك التركي نجاتي منير مع مبنى القنصلية المصرية

وعلى الرغم من أن السفير صلاح شعراوي كان يأخذ الخط الذي اختطه عبد الناصر في علاقته بقبرص، وهو خط معاد لتركيا والأتراك على طول الخط ، وبكل ما هو ممكن من التنغيص، فإنه بحكم الإنصاف الذي تربى عليه جيله يقص قصة مبنى القنصلية المصرية في قبرص ومدى حرص صاحبها التركي على أن يجامل بها مصر وأن يوصي بهذه المجاملة طالما احتاجت مصر إلى مبنى القنصلية. وتدلنا هذه القصة على مدى العنت والشطط الذي كانت مصر تدفع ثمنه بلا مبرر إلا كراهية عبد الناصر للإسلام وكل ما يمت له بصلة.

"كانت الحكومة القبرصية قد سمحت لي خلال زيارتي السابقة بمعاينة دار القنصلية والتي أغلقتها السلطات البريطانية عند وقوع العدوان الثلاثي على مصر في أكتوبر سنة ١٩٥٦ ، كانت الدار تقع في القطاع اليوناني في شارع مصر ، وإن كانت تمتلكها عائلة تركية ثرية ، والتي أوصى كبيرها السيد نجاتي منير بأن تبقى مصر في هذه الدار طوال ما كانت مصر في حاجة إليها. "

"ولا تزال مكاتب السفارة تتربع في مكانها بشارع مصر بوسط نيقوسيا حتى اليوم. وللأسف كانت الدار من حيث المبنى والأثاث في حالة يرثى لها ، ولكن تضافر أعضاء السفارة في نظافتها وتجهيزها بقدر الإمكان للعمل كسفارة ، خاصة وأن الكثيرين من القبارصة كانوا يحضرون لزيارتنا لتهنئتنا بالعودة للجزيرة ، وساعدنا في هذه المرحلة السفير مصطفى لطفي الذي كان لا يزال في القاهرة ، إذ كان خير عون في دفع الوزارة للتجاوب مع طلباتها لإصلاح أحوالها.

علاقاته الشخصية مع الشخصيات المحبة لمصر وعبد الناصر

"وفي هذه الفترة التي سبقت وصول السفير أتاحت لي الفرصة للتوسع في علاقاتي الشخصية مع الكثير من الشخصيات القبرصية على مختلف مستوياتها ،... كما وطدت علاقاتي مع وزير الخارجية القبرصية المستر كبريانو على المستوى الرسمي والعائلي، وخلال هذه الفترة بذلت جهدًا كبيرًا مع أفراد المجتمع التركي لإقناعهم بأن مصر أصبحت تتعامل مع قبرص كدولة مستقلة ، وليس على أساس مجتمعين تركي ويوناني ، متمشية في ذلك مع تطورات القضية القبرصية ، وكانت العلاقات مزيجًا من المشاعر، البعض استمر في اتهامنا والهجوم علينا ، والبعض الآخر كان حذرًا في الاتصال بي، ولكن الأغلبية كانت ترحب بي"

يمارس لعبة الطاولة مع د. كونجوك النائب التركي لرئيس الجمهورية

"وكثيرًا ما كانت لعبة الطاولة التي يعشقونها وسيلة لتحسين العلاقات ، خاصة مع الدكتور كونجوك نائب رئيس الجمهورية "

" وأوفى الرئيس مكاريوس بوعده بأنه سيؤخر اعتماد السفير الإسرائيلي إلى ما بعد تقديم السفير المصري أوراق اعتماده حتى وصل السيد مصطفى لطفي في أوائل فبراير ١٩٦٩ "

تعطيل وصول شخصية قبرصية موالية لإسرائيل لمقعد وزير الخارجية

ونأتي إلى أهم ما يرويه السفير صلاح شعراوي عن الأثر الفاعل لمصر في السياسة القبرصية في عهد الرئيس أنور السادات هو دوره شخصياً في تعطيل وصول شخصية قبرصية موالية لإسرائيل إلى مقعد وزير الخارجية، وهو يعترف بأن هذا النجاح لم يكن متوقعاً في ظل سطوة ذلك الزعيم الإقليمي صاحب النفوذ المالي ، ويقول:

".... من أغنياء مدينة لارنكا، شخصية مغرورة ، وكان يتباهى بأنه ملك لارنكا وذو ميول غريبة وعندما وصلت لقبرص في يناير ١٩٦٩ كان وزيراً للتجارة ولكن في نفس الوقت كان اسمه مقيداً على القائمة السوداء للمقاطعة العربية وبذلت جهداً كبيراً في رفع اسمه من المقاطعة حتى يستطيع تلبية الدعوة الموجهة له من وزير التجارة المصري لحضور المعرض الدولي السنوي بالقاهرة. "

"كنت متخوفاً من تعيين ديمتريو وزيراً للخارجية وشاركني في ذلك قطاع كبير من رجال وزارة الخارجية وبعض رجال الصحافة وقبل قيامي بإجازتي سنة ١٩٧١ قابلت الأسقف مكاريوس وسألته عما تم في موضوع تعيين وزير الخارجية، فأجابني بأنه يجد صعوبة في الاختيار ، وإن كان ديمتريو لا يزال في مقدمة المرشحين. ثم سألتني ما رأيك فيه ؟ لبثت فترة لأجد الرد المناسب فقلت له: إنه يتكلم الإنجليزية بطلاقة ، فابتسم وقال : هل هذه كل الصفات الحسنة في ديمتريو ، فاستأذنته في التكلم بصراحة ، وقلت إنني أتكلم من منطلق أن اختيار وزير خارجية قبرصي هو من صميم الأمور الداخلية ، ولكن اعتزازي بقبرص وبالأسقف يجعلني أقول إن الحكومة اليونانية سوف تثير عليك الدول العربية وتتهمك بأن لسياستك وجهين : الظاهر منها هو تأييد الحق العربي والباطن هو تعيين وزير خارجية كان في يوم ما على القائمة السوداء ، كان تعليق الأسقف مختصراً بأنه سوف يعيد دراسة الأمر

قصة أحد الانقلابات على مكاريوس ودوره في التصدي لهذا الانقلاب

يروى السفير صلاح شعراوي بسلاسة جميلة ما يذكره عن قصة الانقلاب على الرئيس مكاريوس ودوره هو نفسه في التصدي لهذا الانقلاب بما أمكنه من العون.

"وفي يوم من شهر إبريل سنة ١٩٧٢، عدت إلى منزلي حوالي الساعة الثالثة والنصف، عندما أخبرتني السيدة حرمي بأن الدكتور ليساريديس قد حضر إليها راجيا منها أن يقوم كلانا بإقناع قرينته بالإقامة في دار السفارة ، حيث إنه قد وصلتهم معلومات مؤكدة باعتزام بعض الضباط اليونانيين مع العناصر المؤيدة للجنرال جريفاس القيام بانقلاب ضد مكاريوس في ذات الليلة، وأنه مضطر لتركها وحدها في المنزل إزاء ما يفرضه عليه واجبه القومي، رغم علمها بأنها وزوجها من الأهداف المطلوب تصفيتهما أو القبض عليهما."

"دهشت لسماع هذه الأخبار، ومن أن انقلابًا المفروض فيه السرية، قد عرف ويعلن عنه، وأضفت ساخرًا أنه (ناقص أن يقوم التلفزيون بالإعلان عنه وعن ساعة قيامه، لكن لم تمض [فترة] إلا وتلقيت مكالمة تليفونية من أحد الأصدقاء يحذرنني وأسرني من الخروج في ذلك اليوم حيث إن هناك أحداثًا سوف تقع بالجزيرة. "

"بدأت في أخذ الموضوع بجدية وبالفعل توجهت إلى منزل مدير المخابرات القبرصية والذي كان مجاورًا لدار السكن وطرقت الباب لكن لم يرد أحد فتوجهت بعدها إلى منزل المستر كبريانو وزير الخارجية وطرقت الباب لكن ما من مجيب. وأخيرًا توجهت إلى عيادة أحد الأطباء نتخذها أحيانًا مكانًا للقاء مع بعض الشخصيات القبرصية لتبادل الرأي في الأمور وفوجئت بوجود حرم مدير المخابرات بها ، والتي طلبت مني وهي منزعة العودة فورًا للمنزل ، حيث إنه قد وقع في يدي زوجها أمر عمليات صادر من مجموعة من الضباط اليونانيين تحوي تعليمات عن انقلاب ضد الأسقف مكاريوس وعن خطط السيطرة على النقاط الحيوية".

تحركاته ليلة انقلاب ١٩٧٢ على مكاريوس

"وبناء على ما سمعته من هذه السيدة توجهت فورًا إلى السفارة ، حيث قابلت أعضاءها، ووضعنا الترتيبات لتأمينها وعدت إلى دار السكن لتأمينه، ولم يمض من الوقت كثير ، وإذا بي أفاجأ بحضور الدكتور ليساريديس وبرفقته قائد الحرس الخاص للأسقف ومعهما جهاز لاسلكي وقال لي الدكتور ليساريديس : طلب مني الأسقف مكاريوس وضع هذا الجهاز في منزلكم، وهو على نفس الموجة لجهاز آخر يحتفظ به الأسقف، ويرجو أنه في حالة تطور الموقف سوف يبعث عن طريقه برسالة

لاسلكية لتقوم مصر بإذاعتها على العالم، ويؤكد الأسقف أنه يقدر موقفى إذا ما اعتذرت عن قبول هذا الطب".

"لم يستغرق تفكيرى فى الرد عليه ثوانى، وافقت فوراً معتزلاً بهذه الثقة الشخصية، وبالثقة فى بلادى، وأيضاً من منطلق أنه لن يكون لى تواجد فى الجزيرة إذا ما نجح الانقلاب، فلن يقبل قادثه بقائى فى الجزيرة لعلمهم بالعلاقة القوية التى تربطنى بالأسقف، ولن أستطيع القول بأننى لعبت على فشل الانقلاب ونجاح الأسقف فى منعه أو احتوائه، وكان رد الدكتور ليسارىدىس على موافقتى بقوله هذا ما كان يتوقعه الأسقف منك، ثم غادر هو وزميلة دار السكن وبعدما يقرب من الساعة، عاد مرة ثانية وبدأ اتصالهما بالوحدات والمجموعات المؤيدة للأسقف. وفى حوالى الثامنة مساء تهلل وجههما فرحاً، وبسؤالى عن السبب أجابا بأن جموع منطقة بافوس، وهى مسقط رأس مكاريوس بدأت فى الوصول إلى العاصمة بسلاحها بل الأعب من ذلك كانوا مع نساءهم وأطفالهم. ولم ينتصف الليل إلا وكان (فى) الأسقفية ما يفوق عن عشرة آلاف مواطن من الشعب القبرصى فشكوا بذلك جداراً بشرياً من المستحيل اختراقه إلا بوقوع ضحايا عديدين سوف تثير العالم أجمع على مدبريه"

مصر تقدم المعونة الأمنية للأسقف مكاريوس

يروى السفير صلاح شعراوى بكل وضوح أنه كان وراء تقديم مصر للمعونة الأمنية للأسقف مكاريوس بعد أن أدرك أنه يعانى من تأمر القريبين منه، وأن التجسس عليه وعلى تحركاته قد مكن المتأمرين من المضي قدماً فى خطوات الانقلاب عليه مرة بعد أخرى:

"ووجد الأسقف شبهته فى شخصية كبيرة من معاونيه، وأنه إن لم يكن أحد من عناصرها، فهو على الأقل كان على علم بها وفى ختام المقابلة عاد الحديث إلى أمن مكتبه وقال لا ثقة فى أى دولة فى تأمين مكتبى سوى مصر، فهل يمكن مساعدتى فى قيام خبرائكم بهذه المهمة لى؟ شكرته على الثقة وكان تجاوب السلطات المصرية سريعاً، إذ حضرت مجموعة من الفنيين بعد أيام ومعهم أجهزتهم وقادهم ابن أخت الأسقف ميخاليدس، وهو فى نفس الوقت قائد حرسه الخاص من باب خلفى فى قصر الرئاسة، واكتشفت وجود جهاز استماع إلكترونى لا يتجاوز عقلة الإصبع مركباً على تليفون الأسقف، سعدنا بهذا الاكتشاف لأنه يعبر عن معان كثيرة، منها صدق

تصورنا للمؤامرة التي تحاك حول الأسقف وسلامة رأينا بضرورة اتخاذ لوسائل أمن أكثر شدة. ولهذا فسرعان ما طلب الأسقف معاونة مصر في تدريب بعض الشبان القبارصة المخلصين على التدريب الأمني في مصر ونفذ هذا الطلب".

الرئيس السادات أهدى مكاريوس سيارة محصنة ضد الرصاص

و يروي السفير صلاح شعراوي كذلك أن الرئيس السادات بعث إلي الأسقف مكاريوس في ١٩٧١ بسيارة محصنة ضد الرصاص وذلك عندما تعرض لحادث اعتداء آخر عام ١٩٧١ خلال جولة في قبرص .

إخلاص الأسقف مكاريوس لمصر ومحبته لها

و يعبر السفير صلاح شعراوي عن انطباعه عن إخلاص الأسقف مكاريوس لمصر ومحبته لها بقصة تمثل القمة في الاستشهاد المؤثر على مثل هذه العلاقة :
"كان الأسقف مكاريوس عظيمًا في قيادته، مخلصًا لمبادئه، محبًا لمصر وشعبها، ولم يكن يضع كرسي الرئاسة هدفًا لذاته ، بل وسيلة لتحقيق قناعاته ، ومن أهمها ألا تكون قبرص معادية لجيرانها أو تساهم في تشكيل خطورة على سلامتهم ، كان مؤمنًا بحق هذه الشعوب في الوحدة والتحرير وبحق الفلسطينيين في أرضهم.. كان الأسقف شخصية تستحق الاحترام والتقدير. أحب مصر وأحبته. وأذكر ما قاله لي أحد الوزراء القبارصة عن شعوره تجاه مصر، إنه في يوم وجد متاعب في اجتماع لمجلس وزرائه ، فلم يتردد الأسقف في قوله : "إن استمررتم على هذا المنوال سوف أتجه إلى البلد الذي أحبه ويحبني سأتجه إلى مصر."

توثيق العلاقات المصرية تحقق على يد "بنات البلد" دون سعي منه

يقدم السفير صلاح شعراوي جانبًا آخر من النجاح المصري الذي تحقق على يد "بنات البلد" دون أن يسعى هو إليه، ودون أن يصدق الأمريكيان أن تلقائية المصريات وعفويتهم يمكن لها أن تفعل هذا الفعل الدبلوماسي المؤثر: "ولكن جاءت نجدة من حيث لا أتوقع ألجمت الجميع. إذ نشرت الصحف صورة لفتاة مصرية تتبرع بدمها

للطيار الذي استطاع رغم إصابته البالغة من إنزال طائرة الأسقف المروحية بسلام، وهو يقص القصة على النحو التالي :

"لم يكن في قبرص عند وصولي لها سوى ثلاث سيدات هن زوجات لأعضاء السفارة وحوالي خمسين سيدة مصرية يطلق عليهن مجازًا فنانات يعملن في كباريهات مدن الجزيرة ، وقد بذلت جهودًا كبيرة لإخراجهن من قبرص حفاظًا على نقاء اسم مصر في هذا البلد. وبالطبع تيقنت أن هذه الفتاة المصرية هي إحدى هؤلاء الفنانات فطلبت من القنصل إحضارها ، لكنها ترددت خشية أن أطلب منها مغادرة الجزيرة ، لكن القنصل طمأنها وجاءت هذه السيدة وفتحت باب المكتب وبلهجة بدائية قالت أنا عملت حاجة غلط يا بيه فكان ردي: لا، فإذا بها تكرر السؤال بنفس اللهجة لا والنبى لا أنت قايل لي أنا عملت حاجة غلط فكلمتها بلهجة هادئة يا ستي خشي وصبحي وقولي تحبي تشربي إيه."

"ثم وجهت إليها سؤالاً عن دافعها للقيام بالتبرع بدمائها ، فكان ردها معبرًا عن الأصالة المصرية بغض النظر عن مصدرها ومعبرًا عن التصاق المصري بوطنه أيا كان موقفه ومركزه في المجتمع إذ قالت يا بيه : بلدنا مظلومة ورئيسها مظلوم وبلاد كثيرة بتكرهه ، لكن مكاربوس من الناس اللي قليلين اللي بيحبوا مصر ورئيسها ، وأنا في شغلتي المهيبة دي نفسي أخدم بلدي ، فمش كتير علي أن أدي شوية دم للطيار اللي أنقذ الراجل اللي بيحبنا. كان الموقف مليئًا بالمشاعر ووجدت نفسي أقول لها : تقدري تقعدني في قبرص زي ما أنت عايزة."

"كانت قصة التبرع على لسان كل فرد ، بل كان بعض القبارصة يعبرون لي عن خجلهم بأن فتاة غريبة تفكر فيما لم يفكر فيه أحد منهم. وفي حفل استقبال يبادر أحد أعضاء السفارة الأمريكية أحد الزملاء : كم دفعتم لهذه الفتاة لتقوم بهذه البروباجندا ٥ آلاف دولار، التفت إليهم قائلاً هذا منطقتكم دومًا تقيمون المشاعر الإنسانية بالدولارات. ولم يكن هذا الشخص يعلم أن ميزانية السفارة للأدوات الكتابية والأعلام ثلاثة جنيهات فقط في الشهر."

قصة اغتيال ممثل منظمة التحرير الفلسطينية

من حسن حظ تاريخنا المعاصر أن السفير صلاح شعراوي حرص على ان يثبت في مذكراته كل ما عرفه عن قصة اغتيال ممثل منظمة التحرير الفلسطينية وما

سبقها وما تبعها من معقبات مشيداً بجهدده هو نفسه وجهد السفارة لكنه لا يخرج من هذا التناول إلى الأفق الأوسع للعلاقات العربية الأوروبية في فترة الاستقطاب الحاد الذي أحدثه الكيان الصهيوني:

"لم تخل قبرص من الحرب الخفية بين العالم العربي وإسرائيل، حيث إنها جسر لأي منهما ، كما أصبحت الجزيرة المكان المفضل لالتقاء الأسر الفلسطينية المشتتة بين داخل وخارج فلسطين. ولم تكن السلطات القبرصية تقيم أية عراقيل أمام هذه اللقاءات الإنسانية. الأمر الذي أثار إسرائيل وأخذت تفكر في وسيلة لتدمير هذا المركز للمقابلات، فلجأت إلى سلاح القتل، لمعرفة مسبقاً بردود فعل العرب ، والتي إذا نفذت ستزيد من المشاكل التي تواجه نظام مكاريوس وتتولد منها حلقات من العنف ستدفع حكومة الأسقف مكاريوس إلى اتخاذ عدة إجراءات تحجم من النشاط العربي واللقاءات الإنسانية الفلسطينية . وفي [إحدى] ليالي شتاء عام ١٩٧٢ ، فوجئت العاصمة القبرصية بانفجار عنيف في أحد فنادقها، وتبين لنا أنه وقع في غرفة مندوب منظمة التحرير الفلسطينية السيد ناصر وأسفرت عن قتله."

موقفه من اشتعال مشاعر العرب الفلسطينيين

"أشعل هذا الحادث مشاعر العرب الفلسطينيين وتوافد في اليوم التالي مجموعات فلسطينية تطالب بالتأثر والقصاص وشعرت بخطورة الموقف فأسرعت بالاجتماع معهم ودارت مناقشات حامية ، أحاول خلالها إثناءهم عن عزمهم على الانتقام شارحاً المخطط الإسرائيلي، وأنا يجب ألا نعطيهم الفرصة لزيادة هموم الأسقف وعدم دفعه إلى اتخاذ إجراءات تتسبب عنها أضرار بالفلسطينيين، حيث إن البديل لهذه الإجراءات هو اهتزاز مكانة الأسقف وضعف مركزه ، وهذا ما تسعى إليه إسرائيل أيضاً. وقابلت وكيل الخارجية بناء على طلبه، وأفادني بعلم حكومته بجهودي في عدم تحويل الصراع العربي الإسرائيلي على أرض الجزيرة إلى شكل دموي، وطالبت بالاستمرار في السعي ، حيث إن البديل سيكون ضرراً على العرب"

محاولاته لتهدئة الفلسطينيين و تهدئة الحملة عليهم

"ورغم حصولي على وعد فلسطيني بحصر الموضوع والاكتفاء بإظهار مشاعر الغضب بمظاهرة كبيرة تمر في شوارع نيقوسيا وأمام السفارة الإسرائيلية، إلا أنه

لم يمض أسبوع واحد إلا وأطلق مواطن عربي الرصاص على شخصية إسرائيلية مشتبه في عمالتها للمخابرات الإسرائيلية في فندق نيقوسيا بالاس، وأرداه قتيلاً " .
"وسرعان ما تحركت السفارة الإسرائيلية وانبرت الأعلام المؤيدة لإسرائيل في التشهير بالعرب وأبدى المسؤولون القبارصة تخوفهم من تطور الأحداث، حتى أن بعض الأفراد من المتعاطفين معنا أبدوا عتابهم على هذا الحادث.

معالجة المعقبات

"أسرعت لمقابلة وزير الخارجية القبرصي المستر خريستو فيدس وناشدته في تهدئة الصحافة وشرحت له صعوبة السيطرة على المشاعر العربية ، وأنه من الواضح أن إسرائيل كانت البادئة في هذه العمليات الدموية بهدف دفع قبرص لاتخاذ إجراءات أمنية ستؤدي إلى تباعدها عن العرب، وبالتالي زيادة في عزلة مكاريوس ورجوته في رفع وجهة النظر هذه إلى الأسقف أملا أن تجد تفهماً لحقيقة الأمور ، وبالفعل هدأت الأمور، وقلت الصيحات واختصرت الأعلام في نقدها، ومرت الأزمة في سلام ولم تنجح إسرائيل في تحقيق هدفها."

رؤيته للهجرة العكسية أو العودة لليونان على أنها هجرة مطلقة

لخص السفير صلاح شعراوي جانباً مهماً من علاقة مصر باليونان في علاقة الجالية اليونانية في مصر، ومن العجيب أننا نرى السفير صلاح شعراوي يتحدث عن الهجرة العكسية أو العودة للوطن على أنها هجرة مطلقة وهو يقول:
"ولعبت الشخصيات اليونانية التي نشأت، بل ونالت جانباً من تعليمها في مصر دوراً كبيراً في تعزيز العلاقات بين البلدين، فكان وزير الخارجية المستر افيروف من عائلة قديمة عاشت في مصر منذ منتصف القرن التاسع عشر وكان عمه من كبار تجار القطن في الإسكندرية وأثرى من هذه التجارة حتى أنه تكفل ببناء الملعب الذي أقيمت عليه أول دورة أولمبية سنة ١٨٩٦ ، وساهم وزير الخارجية في تكوين جمعية الصداقة المصرية اليونانية .

"كما كان مدير إدارة الشرق الأوسط المستر بتسيوس من مواليد الإسكندرية والتي عاش فيها حتى وصل إلى المرحلة الجامعية، كان هناك الكثيرون، منهم

حارس مرمى المنتخب المصري في كرة الماء والذي كان أحد مديري شركة الطيران اليونانية (أوليمبك)،
"ومن الطبيعي أن هجرة الكثيرين من الجالية اليونانية في مصر إلى البلد الأم،
أوجد مشكلة في اليونان، لكن تعامل معها الجانب اليوناني بكثير من التعقل والتفاهم.
وقد شرح لي المستر افيروف وجهة النظر اليونانية تجاه هذه الهجرة ، بأنهم لا
يلومون مصر ، حيث إن هؤلاء غادروها طواعية لكن المشكلة أنهم على مستوى
عال من الكفاءة وإتقان العديد من اللغات ، مما جعل الشركات والمؤسسات تختطفهم،
مما أثر على فرص العمل لأبناء اليونان."

الملك اليوناني كان متحفظًا تمامًا على علاقته بالرئيس عبد الناصر

ينبئنا السفير صلاح شعراوي في مذكراته بكل وضوح إلى ما يشير إلى أن الملك
اليوناني كان متحفظًا تمامًا على علاقته بعبد الناصر، ويبدو أن قصر فترة شعراوي
في اليونان (١٦ شهرًا) لا تصلح لتبرير هذا الهروب الذكي من شرح طبيعة العلاقة.
"كانت زيارات الرئيس عبد الناصر قاصرة على دول العالم الثالث والاتحاد
السوفيتي ويوغوسلافيا. لكنه قرر تقديرًا لمواقف اليونان والشعب اليوناني في قضية
تأميم قناة السويس أن يقوم بزيارة هذا البلد في يونيو ١٩٦٠."
"حفلت الزيارة باهتمام كبير على المستوى الرسمي والشعبي وأبدت رابطة
الطلبة اليونانيين خريجي الجامعات المصرية استعدادها لتقديم أقصى جهدها لإنجاح
الزيارة.

"لكن لاحظت السفارة أن الحكومة اليونانية لم تنشر صور الرئيس على الحوائط
أسوة بما قامت به لرؤساء الدول [الذين] سبق زيارتهم لليونان، فطلبت من مصلحة
الاستعلامات المصرية ، والتي تجاوزت بسرعة كبيرة في إرسال ما يقرب من خمسة
آلاف صورة لعبد الناصر.

"ولما كان نشر هذه الصور يتطلب الحصول على إذن من وزارة الخارجية،
تقدمت إليها بالطلب، لكن شعرت بتقاعسها ومراوغتها ، إذ جعلتني أتردد على عدة
إدارات حكومية من أجل الحصول على الإذن. وأخيرًا وصلتني الموافقة في الساعة
الواحدة صباحًا ، أي قبل الزيارة بثمان ساعات والحمد لله استطاعت السفارة بالتعاون
مع جمعية خريجي الجامعات المصرية أن تغرق الطرق التي سيمر بها موكب

الرئيس من بيريه إلى أثينا بصوره ، بل وعلقت يافطات الترحيب باللغة العربية، أصبحت الشوارع لا تختلف عن أي شارع في مصر يمر به موكب للرئيس " .

نجاح زيارة الرئيس عبد الناصر لليونان بفضل شعبيته فيها

"وحققت الزيارة نجاحًا كبيرًا وساعد على نجاحها تجاوب كافة طبقات الشعب وعلى اختلاف اتجاهاتهم السياسية وشعورهم بالفخر والاعتزاز بأن تكون بلدهم اليونان هي أول دولة أوروبية يزورها عبد الناصر، ومن الطريف أن تطلق صيحات الترحيب باللغة العربية مثل : نورت يا ريس أو مرحب بلدياتنا، وبعد انتهاء الزيارة قام سفير اليونان بالقاهرة بزيارتي وسألني عن انطباعاتي عن الزيارة، وكانت إجابتي هي الشعور بالرضا والارتياح"

" لكنني استفسرت منه عن سبب تقاعس السلطات اليونانية في الإذن لي بنشر صور الرئيس ، كانت إجابته خارج كل تصور ، بل رجاني في الاحتفاظ بسر ما سيقوله لي ، وهو أن الملك كان مترددًا في إقرار الزيارة، ثم أصبح متخوفًا منها نظرًا لشعبية عبد الناصر في اليونان، لذلك طلب من الحكومة الترحيب به، لكن لا تتعدى مظاهر الترحيب الشعبي في الشوارع عن حد معين".

السفير اليوناني يشيع ان عبد الناصر زار اليونان ليشكرها

"واصل السفير : أنه أفهم كل الدوائر أن عبد الناصر جاء لليونان للتعبير عن تقديره للدور الذي قامت به خلال أزمة قناة السويس".

خبراته في إفريقيا

الزعيم الغاني يكلفه وهو في موسكو بنقل رسالة للرئيس عبد الناصر

وهذه فقرة ذكية يكتفي فيها السفير صلاح شعراوي بالرواية من دون أن يذكر ، هل أدى ما طلبه منه نكروما أو لم يفعل؟ وهي فقرة حافلة بالمفارقات المهمة لأي كاتب مسرحي، فقد انقلبوا على نكروما وهو في الصين فسافر إلى موسكو !

“في فبراير عام ١٩٦٦ توجه نكروما إلى الصين في زيارة رسمية عن طريق موسكو، ولكن ما كادت تطأ قدماه بكين حتى قام انقلاب عسكري في بلاده غانا،

أودى بنظامه وجاء بأخر أكثر ميلا إلى الغرب، فقطع نكروما زيارته وأسرع بالعودة إلى موسكو لدراسة الموقف ولتقرير خطواته التالية. "

"وفي اليوم التالي من وصوله، استدعاني وطلب مني إبلاغ الرئيس عبد الناصر بأن يشمل أسرته برعايته، كما أضاف بأنه سيعود إلى بلد إفريقي مجاور لغانا ليواصل كفاحه وجهوده ضد الاستعمار. واستأذنت منه للانصراف، وما كدت أصل إلى باب الصالون إذا به يصيح (اسمع واسمع جيداً، بلغ رئيسك : أن الغرب لن يتركه، ففي العام الماضي ١٩٦٥ كان سوكارنو في آسيا، وهذا العام ١٩٦٦ نكروما في إفريقيا، وسيكون دوره في العام القادم ١٩٦٧، فليأخذ حذره وجاء عام ١٩٦٧ وكلنا نعلم ما حدث"

إشارته إلى أن العلاقات المصرية الإفريقية كانت حافلة بالتوترات

وتدلنا مذكرات السفير صلاح شعراوي على أن العلاقات المصرية الإفريقية كانت حافلة بالتوترات، دون ان يحلل أسباب هذه التوترات ، لكنه يوحى بأن هذا كان نتيجة لما بقي من النفوذ الاستعماري على الدبلوماسية الإفريقية والإدارة الإفريقية.

نجاح الدكتور محمود فوزي في إقحام وزير خارجية سيراليون

وهو يذكر نجاح د. محمود فوزي في إيقاف وزير خارجية سيراليون عند حده عندما لمز الرئيس عبد الناصر في خطاب له في المؤتمر الإفريقي ١٩٦٣.

الموقف القوي من قرار إبعاد محمد فائق من الصومال

يروى السفير صلاح شعراوي ما حدث من السلطات الصومالية حين قررت إبعاد السيد محمد فائق، فما كان من مصر إلا أن اتخذت الإجراء الذي أجبر إيطاليا على تصحيح موقفها.

"في مارس ١٩٥٧ اغتيل السفير كمال الدين صلاح المندوب المصري في المجلس الاستشاري المعين باسم الأمم المتحدة للصومال. ورغم أن التحقيق لم يصل إلى النتيجة ، إلا أن أصابع الاتهام كانت تشير إلى الإدارة الإيطالية، فأمر الرئيس

عبد الناصر السيد محمد فائق بالتوجه إلى الصومال لدراسة الأحوال هناك ومتابعة التحقيق.

"وقام السيد فائق بمهمته بنشاط ملحوظ، وتعددت لقاءاته مع كافة التيارات والجماعات الصومالية، الأمر الذي أدى بالإدارة الإيطالية إلى أن تطلب من محمد فائق مغادرة الصومال في غضون ٤٨ ساعة على أنه شخصية غير مرغوب فيها." "وعندما وصل الخبر إلى القاهرة، استدعت وزارة الخارجية السفير الإيطالي بالقاهرة، وأخطرتة بأنه شخصية غير مرغوب فيها وعليه مغادرة القاهرة خلال ٢٤ ساعة، ولما أبدى دهشته لهذا القرار والالتهام المفاجئ وأنه لم يقم بأي تصرف يبرره، كان الرد عليه أن هذا القرار هو رد لإبعاد الإدارة الإيطالية للسيد محمد فائق." "ولم تمض أربعة وعشرون ساعة حتى قدمت الحكومة الإيطالية اعتذارها وسحبت الإدارة الإيطالية قرار الإبعاد، وبقي السيد فائق يمارس واجباته."

القصاص لما حدث في نيروبي مع عبد العزيز إسحاق

يروى السفير صلاح شعراوي قصة موقف مشابه حدث مع المستشار عبد العزيز إسحاق، ونجحت مصر بسرعة تصرفها الدبلوماسية في ممارسة المعاملة بالمثل أن تقتص لدبلوماسيها ولنفسها بطريقة مناسبة ومشرفة بفضل السرعة والحزم:

"في أوائل ١٩٦٠ كلف المستشار عبد العزيز إسحاق بالتوجه إلى الكونغو للاتصال بالحركة الوطنية ، والتي كان يتزعمها الرئيس لومومبا وكانت خطوط الطيران في ذلك الوقت محدودة واضطر المستشار إسحاق إلى استخدام خطوط شركة الطيران الإثيوبية إلى أديس أبابا ثم منها إلى نيروبي حيث سيستقل طائرة شركة طيران جنوب إفريقيا إلى جوهانسبرج ومنها إلى ليوبولدفيل (كينشاسا) عاصمة الكونغو، وعندما وصل إلى نيروبي ، وكانت لاتزال تحت الاستعمار البريطاني، وجد أن لديه ١٠ ساعات لحين موعد قيام الطائرة المتجهة إل جوهانسبرج، فتقدم إلى ضابط الجوازات بالمطار وكان بريطانيًا، وطلب منه تأشيرة مؤقتة أسوة بغيره من الركاب حتى يستطيع عمل جولة قصيرة في نيروبي. فتهجم عليه الضابط قائلاً "مصري، بل وحامل جواز سفر دبلوماسي يريد دخول نيروبي، على جثتي لو حصل ذلك ."

فلما أراد المستشار إسحاق مناقشته عن سبب هذا التعنت، هدهد بأنه إن تكلم كلمة واحدة أخرى سوف يعيده على نفس الطائرة التي قدم عليها إلى نيروبي؛ فأثر المستشار إسحاق السكوت حتى لا يتعطل عن تكلمة مهمته، وعندما وصل إلى جوهانسبرج أرسل برقية لوزارة الخارجية بما حدث له في مطار نيروبي.

كان الرد المصري سريعاً ومناسباً وحازماً، إذ أرسلت وزارة الخارجية إلى كافة السفارات والقنصليات بعدم منح أي نوع من التأشيرات لحملة جوازات السفر البريطانية الدبلوماسية قبل الرجوع إلى القاهرة، والتي قد تطلب وقتاً للموافقة عليها. "ولما كان الموقع الجغرافي للقاهرة يشكل نقطة حساسة ومهمة لتحركات الدبلوماسيين البريطانيين للشرق العربي وآسيا وإفريقيا، فقد بدا الارتباك على هذه التحركات، الأمر الذي جعل الخارجية البريطانية تطلب من سفيرها بالقاهرة الاتصال بالخارجية المصرية لمعرفة دوافع هذا القرار المصري وكان الرد المصري شارحاً لما حدث للمستشار إسحاق في نيروبي.. هذا ما دعا وزارة الخارجية البريطانية أن تطلب من سفيرها الاعتذار للخارجية المصرية."

تجربته في المكسيك

السفراء العرب لا يرغبون مشاركته الاحتفال بالعيد

يتحدث السفير صلاح شعراوي بفخر يستحقه عن بعض الإنجازات المهمة التي لا يقدر غيره من الدبلوماسيين قيمتها، في عصرٍ تفتح فيه الدبلوماسية والعلاقات الدولية على فهم الحضارات والتعبير عن الموروثات على نحو ذكي ومؤثر.

“بعد وصولي للمكسيك، علمت بأنه لم يحدث أن أقيمت من قبل صلاة عيد الفطر أو عيد الأضحى ولما كانت دار السكن تسمح لي بإقامتها، فقد دعوت الجاليات الإسلامية للصلاة واشترطت وجود أبنائهم حتى نشعر ببهجة العيد. ونجحت في إرساء هذه القاعدة، الأمر الذي جعل السفارات الإسلامية تطالب بأن تكون الصلاة دورية بيننا. وفي عام ١٩٧٩ زارني سفير باكستان وأخبرني بكل أسف أن السفراء العرب لا يرغبون في مشاركتي لهم في الاحتفال بالعيد. قابلت الخبر ببرود وأفدته أنني يكفيني أن أصلي مع عائلتي وأعضاء السفارة، أي أننا لن نتجاوز العشرين فرداً. لكن شاء الله أن يخيب ظنهم إذ فوجئت ببرقية من القاهرة بأن مدير جامعة

القاهرة سيرأس وفد جامعات مصر المشارك في بطولة الجامعات وأن عدد أفراد البعثة حوالي مائة وعشرين فردًا سيحضرون قبل العيد بيومين؛ فقررت أن أجعل من حضورهم فرصة الاحتفال بالعيد. واكتملت الصورة بأن أغلب أعضاء الجاليات الإسلامية استجابوا لدعوتي في المشاركة في صلاة العيد. وكان حفلًا ناجحًا بكافة المقاييس، بينما لم يشارك في حفل الزملاء العرب أكثر من ثلاثين.”

تخوفه في المكسيك من المفاجآت بعد زيارة السادات للقدس

وفي إطار المصاعب النفسية التي كانت تعصف بالسفراء ، ذلك الموقف الذي وجد السفير صلاح شعراوي نفسه فيه وهو سفير لمصر في المكسيك ، غداة زيارة الرئيس السادات لإسرائيل ، فقد كان من المقرر أن يزور رئيس إسرائيل المكسيك، وهكذا يمكن له أن يطلب لقاء صلاح شعراوي. وهو يروي تحسبه لمثل هذا الاحتمال بطريقة نفسية مؤثرة لعل أبلغ ما فيها هو تعليق السفير أشرف غربال:

“بعد الخطاب اتصلت بالسفير أشرف غربال في واشنطن، وذكرت له أن رئيس دولة إسرائيل سيصل المكسيك بعد ظهر اليوم التالي لزيارة رسمية ، وأخشى أن تدور رأسه ويطلب في إطار التفاوض بالسلام أن يطلبني لمقابلته، ولا أعرف كيف أتصرف ، حيث لا توجد لدينا أي تعليمات توجهنا.

"رد عليّ الدكتور أشرف بأنه أيضًا ليس لديه تعليمات ، ولكن يمكن التهرب بأن أتمارض أو أترك العاصمة ، فكان ردي : وماذا يفعل زميلي التالي في الترتيب بالسفارة؟ فكر الدكتور أشرف ثم قال : إن الفرد منا يقابل في عمله مواقف تستوجب اتخاذ قرار، وهو وحظه إما قرار يؤدي إلى ترقية أو إلى رفده".

خبرته بمعاناة المكسيك من جارتها المزعجة : الولايات المتحدة الأمريكية

حرص السفير صلاح شعراوي، يحرص على أن يصور معاناة المكسيك التي عمل سفيرًا فيها لأربع سنوات مع جارتها المزعجة أي الولايات المتحدة الأمريكية، وهو يجيد تصوير موقف الولايات المتحدة من الضيق بالزعامات الوطنية المستقلة وحرصها على مضايقة هذه الزعامات بكل الوسائل، وأتذكر أنه عند استلامي العمل في المكسيك ، أن كان رئيس الجمهورية المستر إتشفاريا يتبع سياسة التقارب مع دول العالم الثالث، بل وتبنى إنشاء مركز دراسات العالم الثالث وعززه بمجموعة

قوية من العلماء واستضافة الكثير من المؤتمرات. وبالطبع لم تكن الولايات المتحدة ترحب بهذه السياسة، فاتبعت معه الضغط في النواحي التجارية ، فمثلاً كانت بالمكسيك تصدر لها بحوالي أربعمائة مليون دولار سنوياً من فاكهة الفراولة ، وفوجئنا في يوم أن سعر الكيلو في الأسواق انخفض إلى عشرة في المائة من السعر الذي اعتدنا عليه ، وتبين لنا أن أمريكا ألغت استيرادها لها بحجة أنها مصابة بأمراض زراعية. وتكرر الآن في منعها استيراد العجول من المكسيك ، الأمر الذي أثار زوبعة داخلية مضادة لاتشفاريا خاصة من الولايات الشمالية. وإزاء هذا تراجع أو انكمش في علاقته بالعالم الثالث. وألخص النظرة المكسيكية إلى العلاقة على الولايات المتحدة فيما قاله أحد رجال الصناعة لي "أقول لك الحقيقة نحن نحكم ونكره الأمريكان، لكن إذا تكلمنا في مواضيع الاقتصاد والاستثمار فنحن معهم".

تجربته في أوروبا الغربية

المشاعر السويسرية بالانحياز للدول الصغيرة

وفي هذه المذكرات فقرة معبرة تطلعنا بكل وضوح على تعاطف الدول الصغيرة مع بعضها البعض في ظل هيمنة نادي الكبار على مقدرات الأمم من خلال النظام الدولي الذي فرض نفسه بعد الحرب العالمية الثانية:

"في ديسمبر ١٩٦٧، ونحن نعيش في مأساة حرب ١٩٦٧، اتصل بي مستشار السفارة السويسرية وسألني بلهجة مثيرة عما إذا كنت قد سمعت الأخبار؟ . بصراحة ، انزعجت وصحت بلهفة: هل هي تتعلق بمصر؟. رد عليّ : "لا إنما أكلّمك وقوات الفيت كونج تحارب داخل السفارة الأمريكية في سايجون ، أبديت له دهشتي وإعجابي بهذه الجسارة الفيتنامية، لكن ما أثار دهشتي هو اللهجة الحماسية التي كان يتكلم بها هذا الزميل وهو يخبرني بهذه الأحداث.

"وفي ذات اليوم، قابلته في حفل استقبال وسألته عن سبب لهجته المثيرة ، والتي شعرت منها إعجابه بما قامت به قوات الفيت كونج. أجابني بأنه "كدولة صغيرة تنظر شرقاً فتجد العملاق الروسي وتنظر غرباً فتجد العملاق الأمريكي، وتخشى أن تنظر شمالاً وتجد ألمانيا موحدة، وبالتالي أين سيكون مكاننا. نحن كدولة صغيرة فإننا لا نقبل إزالة الدول الصغيرة من على الخريطة السياسية أيا كانت ميولها

واتجاهاتها، لأنه قد يأتي الدور على بلدي ثم اقترب مني وأضاف بأنه من هذا المنطلق تؤيد كثير من الدول، ومنها دولته، لبقاء دولة إسرائيل لا حباً في ذاتها ، بل لأنها دولة صغيرة تعيش في خضم أمة كبيرة.”

ومن المدهش والمؤسف أن السفير صلاح شعراوي يروي هذه القصة ثم لا يعلق عليها بما كان يعلمه بالطبع من أن كيان دولة إسرائيل التي يتحدثون عنها هي كيان مغتصب لحق فلسطين وشعب فلسطين في الوجود.

التزام الهولنديين بعدم التحدث بالألمانية كراهية لناطقيها

وهذه فقرة جميلة يصور بها السفير صلاح شعراوي ما أدركه مبكراً من العوامل الحاكمة بين الدول المتجاورة وأثر العصبية فيها ، مهما كان حظها من الحضارات، كما يدلنا على الأسلوب الأمثل لصلاح مثل هذه المشكلات.

“نشرت بعض الصحف الهولندية أن عمدة إحدى المدن في حفل افتتاح معسكر الكشافة الأوروبي ألقى كلمة ترحيب باللغة الهولندية أعقبها بأخرى باللغة الإنجليزية وبالفرنسية، ثم قال إنه رغم إجادته الألمانية ، [فإنه] أخذ على نفسه عهداً ألا يتكلم بها طوال حياته. تناولت هذا الموضوع مع أحد الأصدقاء الهولنديين، فأكد على أن الكثير من الهولنديين قد التزموا بعدم التحدث بالألمانية ، كراهية لناطقيها ، لما لاقوه من ذل وهوان على أيديهم خلال الحرب العالمية الثانية.

"وبمرور الزمن وبعد انضمام ألمانيا لحلف الأطلسي ، اتجه الكثيرون من الألمان إلى هولندا خلال عطلة نهاية الأسبوع لشراء احتياجاتهم من اللبن والزبدة ، وهما سلعتان كانتا خاضعتين للبطاقات في ألمانيا " .

"لكن بدأت بعض العناصر الهولندية ، والتي لا تزال تحمل في قلوبها مرارة الذل والهوان، بدأت في مهاجمة سيارات السياح الألمان بثقب الإطارات أو كسر فوانيس السيارات أو الكتابة عليها "أيها الخنازير عودوا إلى بلادكم أو هولندا ليست مكاناً للقتلة". ولما اشتدت الحملة تقدم السفير الألماني إلى وزير الخارجية الهولندي محتجاً، وأبدى استعداد بلاده بعدم السماح لمواطنيها زيارة هولندا. فتحركت أجهزة الدولة لدراسة الآثار المرتقبة لهذه المقاطعة ، واضطرت الملكة أن توجه نداء للشعب بالامتناع عن هذه المضايقات، وأنه يجب أن يتحلى الهولنديون بروح الصفح والتسامح وفتح القلوب للمستقبل.”

السبب في شدة عداة هولندا لمصر بعد ١٩٥٦

نفهم من مذكرات السفير صلاح شعراوي عن الفترة التي عين فيها مستشارًا في سفارة مصر في هولندا (١٩٥٧) وكان القائم بالأعمال بالنيابة منذ وصوله ، أن هولندا كانت تتخذ مواقف عدائية لمصر بدرجة أكثر عدائية من بريطانيا وفرنسا، وأن أحد هذه القرارات وقفت فيها هولندا مع كوستاريكا ومع إسرائيل. وفي ملفات الخارجية أن موقف كوستاريكا كان بسبب طغيان شخصية زوجة الرئيس على زوجها وكانت يهودية. لكن السفير صلاح شعراوي يفاجئنا بما عرفه من وكيل الخارجية الهولندية نفسه حين لقيه، فنتعجب من أن إندونيسيا تحت رئاسة سوكارنو استفادت من الزخم الإعلامي والمد القومي الذي صنعناه حول قرار تأميم قناة السويس فأمت ممتلكات هولندا في أول أغسطس ، أي بعد تأميم قناة السويس بخمسة أيام، وعلى حين أن مصر أمتت ٤٠ مليون دولار فقط في قرار التأميم؛ فإن إندونيسيا أمتت لهولندا ما فاق مليار دولار ! في ظل حالة الحماس الإعلامي التي خلقتها مصر ولم تستفد منها على نحو ما استفادت إندونيسيا ."

حرصه على الحديث عن تخلف الإعلام المصري في أوروبا

وبالطبع فإن السفير صلاح شعراوي يشغل نفسه بما جيل عليه جيله من الحديث المتضخم عن كفاءة مصر في تشغيل قناة السويس، وبالطبع فإن هذا الشعور كان ينسبنا أن نتأمل السياسة الخارجية على نحو أعمق. لكن السفير صلاح شعراوي يقدم مباشرة تصويرًا بديعًا لتخلف الإعلام المصري الخارجي :

"خلال تصفحي لما تحتويه السفارة من منشورات وأفلام وجدت كمًا كبيرًا من النشرات والكتيبات والأفلام الإعلامية. ولما عاينتها أسفت للمبالغ التي صرفت عليها، لضالة معلوماتها وسوء عرض محتوياتها واللغات التي كتبت بها.

"وبالطبع لم تكن هناك أية مطبوعات باللغة الهولندية ، والتي لا يتكلمها سوى شعبها. والمفروض أن يكون البديل لها هي اللغة الإنجليزية ، والتي يتكلمها غالبية أفراد الشعب الهولندي. لكن للأسف إن النسبة الكبرى لهذه المطبوعات كانت باللغة الألمانية والإسبانية ، ولم يدر مرسل هذه المطبوعات أن اللغة الألمانية بعد الحرب العالمية الثانية كانت لغة كريهة للشعب الهولندي ، نظرًا لما لاقاه من مآسي على

أيدي القوات الألمانية. أما اللغة الإسبانية فلم أعرف سبب اختيار مراسلها لها ، إلا إذا كان يتصور أن احتلال إسبانيا لهولندا في القرن السابع عشر قد ترك أثرًا ثقافيًا ولغويًا. وأغلب الظن أن المشرف على مخازن مصلحة الاستعلامات أردا أن ينظف أرففه ، فأرسل أي شيء سواء أكان نافعًا أو تافهًا. أما بالنسبة للأفلام ، فقد وجدت ما يقرب من خمسين فيلمًا عن مصر وتقدمها وتاريخها.

دروس من هولندية محبة لمصر: مسز فولتشر

" واستعنت بسيدة هولندية عضو بجمعية الصداقة الهولندية المصرية لتقييم الأفلام ومدى صلاحيتها للعرض. وبالطبع كانت غالبية الأفلام بدائية في مواضيعها سيئة في تصويرها. فمثلًا كان من ضمنها ثلاثة أفلام عن سباق الدراجات ، والذي كان يقام سنويًا من الأقصر للقاهرة. لم تظهر هذه الأفلام عظمة آثار الصعيد أو لقطات للسباق، لكن كان تركيزها على لجان الاستقبال في المدن ، والتي أحاط بها أفراد يمثلون التخلف الحضاري للأسف. ومثال آخر على تخلف مخرج فيلم "الدولة في خدمة الشعب" وبالطبع كنت أتوقع أن أشاهد صورة رائعة لجهود الدولة لخدمة المجتمع المصري، لكن بدأ الفيلم بمدفعين على مدمرة تطلق قنابلها ثم تلي ذلك مخطوط "ثورة ٢٣ يوليو" ثم أعقب ذلك طائرتان من طراز ميج تطلقان الرصاص ثم عنوان الفيلم "الدولة في خدمة الشعب "

"وفجأة صاحت مسز فولتشر : قف ما هذا التهريج وما هذا التناقض بين عنوان الفيلم وطريقة تقديمه، هنا بناء وهنا تدمير. واخذت تشرح لي نفسية الشعوب الأوروبية بعد الحرب العالمية الثانية من كراهيتهم لكلمة الثورة وكل ما يمت للجيش والسلاح وذلك لما لاقوه من عناء وفناء وتدمير خلال هذه الحرب".
"واستقر الرأي أخيرًا على أربعة أفلام فقط تصلح للعرض. "

نموذج للحملات على الرئيس عبد الناصر

"حدث أن نشرت إحدى الصحف أن عبد الناصر كان فقيرًا وكان لا يملك سوى حذاء واحد يكرر إصلاحه عند إسكافي القرية ويبقى في دكانه لحين الانتهاء من إصلاحه وخلال انتظاره تعلق بابنة الإسكافي وأحبها وتزوجها غضبت من هذه المقالة لما حوته من مغالطات وأردت الرد عليها ، لكن مسز فولتشر وهي عضو

في جمعية الصداقة أشارت بأنه يجب ألا ألقى بالأى بهذه المقالات ، وأن العقلية الأوروبية غير عقلية شعوب الشرق الأوسط ، لأنهم يحترمون من كان أصله متواضعاً ثم يصل بجهد و شخصيته إلى مركز قيادة البلاد "

تأثر رأيه في الاعلام المصري بتجربته الميدانية

"أستطيع القول إن محادثاتي مع مسز فولتشر غيرت الكثير من مفاهيمي ومن نظرتي للأمور، كما اقتنعت بأن الإعلام المصري الموجه ، لكي ينجح ، لابد وأن يشارك في وضعه علماء نفسيون دارسون لمشاعر، حتى يكون المعروض متجاوباً مع روحهم ومفاهيمهم واحتياجاتهم للمعرفة. "

هولندي يصارحه بأنهم نهبوا خيرات إندونيسيا ٣٠٠ عاما

ومن الطريف أن السفير صلاح شعراوي نفسه يذكر بعد صفحات أنه عندما جامل شخصية هولندية بإظهار إعجابه بإنجازهم ، رد عليه هذا الهولندي بتعجب أن يصدر هذا الكلام عن مصري وأضاف الرجل الهولندي له أن ثروة هولندا هي من استعمارها لإندونيسيا "لقد بقينا فيها ٣٠٠ عام نهبنا فيها كل خيراتها، ولم نترك فيها سوى تسعة في الألف من المتعلمين.

خيرات عامة

السفير عوض القوني لم يستطع إعلان قبول مصر لوقف إطلاق النار

يروى السفير صلاح شعراوي ضمن أحاديثه الكثيرة وأقعتين مهمتين تعبران عن المصاعب الغربية التي يمكن للسفير أن يجدها في حياته المهنية، من هذه المصاعب النفسية القاسية ، ما صوره على لسان مندوبنا الدائم في الأمم المتحدة حين وقعت الهزيمة، وهو السفير الشهير محمد عوض القوني الذي لم تساعده أعصابه على إعلان قبول مصر لوقف إطلاق النار ، فترك هذه المهمة لسكرتير الأمم المتحدة: "ويأتي يوم ٨ يونيو وأفتح إذاعة صوت أمريكا وأستمع لصوت يوثانت يقول "إنه بسماع تلك الأنباء المشجعة بقبول مصر لإيقاف النار مع إسرائيل ، عندي أمل أن تقوم باقي الأطراف باتخاذ تلك الخطوة) وبصراحة لم أتحمل هذا التصريح فانفجرت

مشاعري ولزمت حجرتي حتى الصباح أفكر في مستقبل بلدي ، وأشير هنا أنه بعد عدد من السنين ، عندما كنت سفيراً في قبرص إذ كان السفير محمد القوني يقوم بزيارة لها كوزير للسياحة ، أنه ذكر لي أن أعصابه لم تتحمل إذاعة بيان مصر وطلب من يوثانت أن يلقيه بدلاً عنه.”

نموذج لقوة الشعور بالانتماء العربي عند السفراء العرب

وهذه فقرة مهمة تنبئنا عن حقيقة الشعور العربي عند السفراء العرب ، على حين كانت مقتضيات الزعامات العربية الفاسدة كفيلاً بأن تنسف هذه الوحدة الشعبية بمقتضيات التحزب ضيق الأفق.

"كان السيد الطرزي سفير سوريا لدى الاتحاد السوفيتي من الشخصيات العربية المشهود لهم بالكفاءة وقوة الذاكرة. وفي يوم أقيم حفل عشاء دعا إليه السفراء العرب وكان لي حظ مشاركتهم باعتباري قائماً بالأعمال بالنيابة.. وكان من ضمن المدعوين سفير تونس والمعروف عنه انتقاده الحاد للقومية العربية وعدم اعترافه بها .

"وفي ذات الليلة كان هجومه عليها عنيفاً وقاسياً ، الأمر الذي أخرج صاحب الدعوة وخلال تناول العشاء ، أدار السفير السوري الحديث، وبدأ هو والسفير اللبناني والعراقي في استعادة أيام الشباب ومساهماتهم في المظاهرات ضد الفرنسيين والإنجليز خلال فترة دراستهم . وقال السفير السوري إنه كان يدرس بالجامعة الأمريكية في بيروت ، حين قبض عليه خلال مشاركته في مظاهرات تدافع عن حق لبنان في الاستقلال ، وأكمل السفير اللبناني ذكرياته بأنه كان في ذلك الوقت بحلب برفقة والده عندما أصابه أحد رجال البوليس بجرح في رأسه خلال المظاهرات التي قامت بها جامعة حلب لهذا الغرض. ثم أعقب ذلك السفير العراقي الذي شارك في المظاهرات التي قامت في عمان ضد الوجود البريطاني وعندئذ التفت السفير السوري للسفير التونسي قائلاً: ما كنا نتكلم فيه يا أخي لهو أحسن تعبيراً عن معنى القومية العربية في أبسط شرح لها. لقد قبض عليّ في بيروت، وجرح السفير اللبناني في حلب ، والسفير العراقي شارك في مظاهرات عمان. لم يعلق السفير التونسي على هذا الكلام، بل سكت، ولم نعرف إن كان قد اقتنع بسرد السفير السوري أم لا .

" لكن حدثت مفاجأة بعدها بشهر تقريباً؛ إذ وجهت الخارجية السوفيتية الدعوة لبعض السفراء لزيارة أحد مشاريع الكهرباء. وكان من ضمن المشاركين سفير

أوروجواي ، والذي كان أحياناً يفرط في الشراب ، ويقول دون وعي ما يدور في ذهنه ، وفوجئنا به ودون مناسبة يتهم على العرب ، ويشيد بإسرائيل، وكانت المفاجأة الأكبر، بأن الذي تولى الرد عليه وبشدة تكاد تصل إلى حد السباب، بل واتهامه بالعمالة لإسرائيل، كان السفير التونسي.”

تكليفه بإبعاد ثمانية من أعضاء السفارة العراقية في القاهرة

مع أن السفير صلاح شعراوي لم يمارس الدبلوماسية في البلاد العربية، فقد قدر له أن يكون بطل اتخاذ القرار المصري بإبعاد ثمانية من أعضاء السفارة العراقية في القاهرة ، بعدما وجهت لهم أجهزة الأمن والمخابرات المسئولية عن محاولة القيام بمؤامرة ضد الرئيس السادات، وقد حرص السفير شعراوي على أن يذكر الواقعة في إطارها الوظيفي الذي يترتب على إبعاد موظفين عراقيين فيبعد في مقابلهم دبلوماسيون مصريون رغم حاجة المصريين في العراق إلى من يتولى خدمتهم مع كثرة عددهم:

"في أوائل شهر يونيو ١٩٨١ كان السيد الوزير كمال حسن علي يقوم بزيارة للدول الإسكندنافية، ولكنه تأخر في عودته نظراً لمروره على طبيبه في سويسرا ، والذي كان يعالجه من مرض الروماتويد . وفي الوقت نفسه اضطر الدكتور بطرس غالي إلى السفر إلى بعض الدول الإفريقية تلبية لدعوات سابقة ، وعليه أصبحت أنا مسئولاً عن الوزارة لمدة قصيرة بالطبع. في خلال هذه الفترة القصيرة اتصل بي الفريق الماحي رئيس المخابرات العامة ، أفادني أنه بناء على طلب السيد وزير الداخلية، يرجى استدعاء القائم بأعمال السفارة العراقية في اليوم التالي وبإبلاغه أنه أصبح شخصاً غير مرغوب فيه، وعليه مغادرة البلاد خلال ٢٤ ساعة هو وسبعة من أعضاء السفارة، حيث إن جهات الأمن اكتشفت مؤامرة بعثية يرأسها هذا الدبلوماسي ضد الرئيس السادات".

"أجبت أنه ليس هناك مشكلة في استدعائه ، لكن لا بد على ضوء ما توصلنا إلى معرفة أبعاد المؤامرة والقائمين بها. يجب أن نعطي لأنفسنا فرصة إلى دراسة الموضوع بصورة أشمل؛ إذ إننا لدينا ما يقرب من ٢ مليون مصري في العراق ونحن على أبواب موسم الإجازات وليس لدينا سوى اثني عشر موظفاً بالكاد يقومون بخدمتهم ، بينما في السفارة العراقية بالقاهرة ما يقرب من خمسة وثلاثين عضواً ولو

طردنا سبعة فستكون هناك معاملة بالمثل من قبل السلطات العراقية. ولذلك أرجو الانتظار ثمان وأربعين ساعة لحين وصول السيد الوزير لمناقشة الموضوع.

"وبعد ساعة تقريبًا اتصل بي السيد وزير الداخلية وسألني عن سبب اعتراضى على طرد القائم بالأعمال العراقي، وضحت له الظروف وأنه يجب أن نعطي لأنفسنا فرصة لمواجهة رد الفعل، فكان رده بأن نصرف النظر عن هذا الموضوع ولا داعي لطرده الدبلوماسي العراقي وزملائه. شكرته، ولكن طلبت منه ورقة مكتوبة بالموافقة على هذا القرار، فوعد بدراسة الموضوع وتأجيل المناقشة فيه إلى اليوم التالي، لكن للأسف لم يعد السيد كمال حسن علي من الخارج، ومن ثم طلب منى الفريق الماحي تنفيذ طرد الدبلوماسي العراقي وبالفعل تم المطلوب."

"وفي نفس اليوم اتصل بي القائم بالأعمال المصري من الكويت في تمام السادسة مساء وأخبرني أنه وسبعة من الزملاء غادروا بغداد صباح ذلك اليوم، ولم يعد في السفارة سوى خمسة أعضاء وإزاء ضغط العمل في السفارة المصرية ببغداد أرادت الخارجية المصرية تعزيزهم، لكن الخارجية العراقية رفضت الطلب، وكان أن تعرضت السفارة لاتهامات و[ضغط كبيرة] من الجالية المصرية."

السلك الدبلوماسي يوظف نفسه لخدمة المسئولين المصريين.

ولا تخلو مذكرات السفير صلاح شعراوي من الاعتراف بسلبيات السلك الدبلوماسي في توظيف نفسه لخدمة كبار المسئولين المصريين.

"وفي يوم ١٦ سبتمبر ١٩٦٤ استلمت عملي بالسفارة، لكن لم أجد أحدًا يهتم بي، إذ كانت كلها مجندة لخدمة زيارة السيد علي صبري رئيس مجلس الوزراء والوفد المرافق له، والذي بلغ حوالي أربعة وستين شخصًا يمثلون كافة أنشطة مصر الاقتصادية والإنتاجية. وهنا أشير إلى أن خروشوف، والذي كان في استقبال السيد علي صبري هاله هذا العدد فقال له: ومن تركته يعمل في مصر؟"

صورة نابضة بالحياة للصراع بين المشير والرئيس عبد الناصر

قدم السفير صلاح شعراوي في مذكراته صورة نابضة بالحياة للصراع الخفي بين المشير عبد الحكيم عامر والرئيس جمال عبد الناصر، ومن الإنصاف أن نترك

للقارئ الفرصة كاملة لقراءة ما يصوره هذا الرجل الذي ترك الحياة العسكرية إلى الحياة الدبلوماسية محتفظًا بالقدرة على الكتابة وتكوين الرأي والتعبير عنه:

“في عام ١٩٦٥ قام عبد الناصر بزيارة رسمية للاتحاد السوفيتي ولكن حضر فجأة وفد عسكري قبل الزيارة بأسبوع للتباحث مع الطرف السوفيتي في المشاكل العسكرية المتعلقة لتوقيع اتفاقيات جديدة ولم يستطع السيد مراد غالب استقبال الوفد في المطار نظرًا لكونه عميدًا للسلك السياسي ، إذ كان يقيم حفل توديع لسفير اليابان، فأوفدني بالنيابة عنه و[كلفني] تقديم الاعتذار للوفد لهذا السبب القهري. لم يقبل الوفد هذا الاعتذار ، بل تمادى أحدهم وأصر على أنه كان يجب إلغاء حفل الوداع وتطورت المناقشة ، وتناول على مكانة السفير ، فذكرته بالأل ينسى أن السفير في البلد المعتمد فيه ليس شخصًا عاديًا ، بل هو يمثل رئيس الدولة شخصيًا ، ففوجئت برد لم أكن أتوقعه إطلاقًا ، إذ قال، مين رئيس الدولة اللي بتتكلم عليه ده إحنا نشيله في يومين ثم أعقب ذلك بقوله (يومين إيه قول ساعتين). وحقًا لقد أسكتني هذا الكلام إذ لم يعد مجال لأي تفاهم. بعدئذ فكرت مليًا فيما سمعت من هذا الضابط، هل حقًا المشير بهذه القوة التي تتيح له فرصة خلع الرئيس عبد الناصر ؟

قادني التفكير إلى:

- أن السيد المشير منذ ١٩٦١ بعد الانفصال عن سوريا ، استطاع أن يستقل بقيادة الجيش وبتشريقات ضباطه وتعييناتهم، الأمر الذي تخوف منه عبد الناصر فكلف شمس بدران بمراقبة ممارسة المشير لهذه الاختصاصات ، والغريب أن المشير استطاع بروحه السمحة أن يضم شمس بدران لصفه .
- سيطر السيد المشير على القطاع العام ، فلم يكن يعين أحدًا في قيادته دون موافقته.
- ترأس السيد المشير لجنة الإقطاع ، بما لها من سلطات خارقة على المجتمع المصري.
- تولى السيد المشير مسؤولية تحسين خدمة مواصلات القاهرة ، سواء في مجال التدريب أو الصيانة.
- تولى مكتب المشير تحديد الأقدميات في الدولة ، وكان هذا من اختصاص رئاسة الجمهورية.

■ في سنة ١٩٦٦ قام السيد المشير بزيارة الاتحاد السوفيتي، وفي جلسة بدار السفارة صرح بأنه لم يأت لطلب السلاح ، بل باعتباره مسئولاً عن التموين، وعليه فإنه جاء لعقد صفقة كبيرة ،طلب فيها ٢٥ ألف طن زيوت نباتية، ٢٠ ألف طن زيوت حيوانية، و٦ آلاف طن سمك مجمد.

لا شك أن كل هذه المسؤوليات شغلت المشير عن واجبه الأساسي وهو قيادة الجيش والإشراف على تدريبه وتسليحه ، وفي الوقت نفسه سلبت من عبد الناصر قيادته لدوائر حيوية في حكم مصر. ولذلك يلعب هذا التساؤل في تفكيري من كان يحكم مصر سنة ١٩٦٦؟! !

حافظ إسماعيل يصرح له بسبب انتقاله إلى الخارجية

من الفقرات التي حرص السفير صلاح شعراوي على أن يضمنها هذا الكتاب ، تلك الفقرة العابرة الهادئة إلى حد البرود التي ينسب فيها إلى السفير محمد حافظ إسماعيل إجابته عن سؤاله له عن سبب انتقاله من الحربية إلى الخارجية ، بعدما عمل مديراً لمكتب المشير عبد الحكيم عامر لسبع سنوات في أول عهد الثورة.

“أثار انتقال السيد حافظ إسماعيل من القوات المسلحة ١٩٦١ إلى منصب وكيل وزارة الخارجية دهشة كبيرة في أوساط القوات المسلحة؛ إذ إنه كان من الضباط الأكفاء والجادين في أداء واجباتهم. وكانت كفاءته سبباً في أن يتولى وظيفتين مهمتين في وقت واحد، وهما إدارة العمليات ومدير مكتب المشير.

”وفي جلسة خاصة معه سألته لماذا ترك الجيش وجاء لوزارة الخارجية، أجاب بأنه لاحظ أن كثيراً من قراراته تعرضت للتغيير من قبل المقدم شمس بدران، وهو الأمر الذي لا يمكن السكوت عليه فتوجه للمشير عامر وقدم شكواه. وأضاف بأنه إذا طلب منه عدم الاعتراض على تصرفات شمس بدران فليعين وزيراً للحربية، وهنا يقبل بحكم القواعد والتقاليد العسكرية الالتزام بما يقرره وزير الحربية.

”كان المشير عامر في معركته مع عبد الناصر في سيطرته على القوات المسلحة يحتاج لمناصرة شمس بدران ، لكن في الوقت نفسه لا يستطيع إغفال حق السيد حافظ إسماعيل فيما تعرض له. فتمسك بشمس بدران وطلب من الدكتور فوزي وزير الخارجية وقتئذ قبول حافظ إسماعيل في منصب وكيل الوزارة، ومثل انتقاله للخارجية قفزة ملموسة في أداء الوزارة وتغطية المطلوب منها في الخارج.”

الباب الرابع : عسكري سابق في مهمة دبلوماسية

الفصل الخامس : ذكريات أحمد حمروش عن الانقلاب السوداني

نقدم في هذه الفصل صورة سريعة معبرة عن نجاح الرئيس السادات في الانتقال من دبلوماسية الأفراد إلى دبلوماسية المؤسسات على نحو طبيعي لم يستوعبه الساسة المصريون الذين كانوا قد وصلوا الى ذروة مجدهم في عهد الرئيس جمال عبد الناصر ثم توقفوا تماماً عن المجد بل بدأوا مراحل الفشل أو التجميد وربما مراحل الإحباط والسقوط.

يروى هذه القصة الأستاذ أحمد حمروش ١٩٢١- ٢٠١١ الذي كان في وقت احداث القصة رئيساً لتحرير روز اليوسف وباعتباره ضابطاً فقد كان من رجال الدولة و قد ساعدته مكانته في دولة الرئيس عبد الناصر وتنظيماته السياسية قد مكنته على أن يوثق علاقاته بالشيوخيين وفي مقدمة هؤلاء بالطبع الشيوعيون السودانيون.

اليساريون كاليمنييين لا يعتنون بروايات الأستاذ حمروش

ننبه القارئ إلى أن من المعتاد في كتابات اليساريين المصريين ألا يعنوا بروايات الأستاذ حمروش ، و لا بالنقل عنه مع ان رواياته حافلة بالإضاءات المهمة ، و لست في حاجة الى ان اشير الى انني كنت الوحيد الذي رثاه بمقال كبير عند وفاته.

فكرة انقلاب ١٩٧١

كان اللواء جعفر نميري كما نعرف قد قام بانقلاب مايو ١٩٦٩ وهو حسب المتعارف عليه عند المؤرخين والساسة انقلاب شيوعي الطابع سرعان ما حصل على ترحيب الرئيس جمال عبد الناصر ودعمه نكاية منه في الزعيم الصادق المهدي والمهدية والقوى المدنية السودانية على الرغم من ان هذه القوى وقفت مع الرئيس عبد الناصر موقفاً نبيلاً و نادراً بعد هزيمة ١٩٦٧ وعقدت من أجله مؤتمر الخرطوم أغسطس ١٩٦٧ الذي أعاد له الزعامة ومجدها وكبرياءها .

لكن أي انقلاب شيوعي كما نعرف يكون معرضاً لانقلاب مضاد في ظل طابع التنشيطي الذي يحكم التنظيمات الشيوعية وهكذا فإن هاشم العطا الذي هو الرجل

الثاني في انقلاب نميري قرر في ١٩٧١ أن يقوم بانقلاب على النميري زعيم ١٩٦٩ على نحو ما قام الرئيس جمال عبد الناصر بانقلابه ١٩٥٤ على الرئيس محمد نجيب ١٩٥٢ وعلى نحو ما قام الرئيس هواري بومدين بانقلاب ١٩٦٥ على الرئيس بن بيلا وهكذا.

كانت الدنيا قد اختلفت لكن الشيوعيين المصريين لم يكونوا واعين بما فيه الكفاية بمدى ما يملكه الرئيس أنور السادات من شبكة علاقات دولية، وهكذا فإنهم تصوروه كالرئيس جمال عبد الناصر الذي يعتمد على اسمه ومهافته في المقام الأول وعلى علاقات المصريين في المقام الثاني، وهكذا وجد أحمد حمروش فرصته في أن يعرض القيام بالدور المهم او المبادر في الاتصال المصري بالانقلاب الجديد على نحو ما كان قد قام بدور ما في انقلاب النميري في مايو ١٩٦٩.

حمروش يعرض خدماته

اتصل احمد حمروش بالرئاسة على نحو ما سنرى، ووفق له على طلبه، وقرر الدكتور عبد القادر حاتم أن يرده بأحمد فؤاد رئيس مجلس إدارة بنك مصر ليكونا اثنين بدلا من واحد، وذهب حمروش وقام بما يعتبر أنه بلغة العرب منتهى الطلب من الدبلوماسية أو الاتصالات الخارجية، على نحو ما سنقرأ بالتفصيل ومن دون تدخل منا أو دخول فيما يرويه من فقرات طويلة.

وغداة وصوله عائدا من الخرطوم استعد للقاء الرئيس أنور السادات ، و في أثناء انتظاره للقاء الرئيس في القناطر بدأ فكتب ملخصاً ، فلما جاء الرئيس أنور السادات لم يهتم بالتقرير ، ولا اهتم بما كان حمروش مستعداً لأن يرويه، وكان هذا لسبب أهم لم يستوعبه أحمد حمروش حتى مات ، وهو يقترب من التسعين، كان هذا السبب هو أن القضية التي عاد منها حمروش قد عولجت معالجة مختلفة تماماً وأن الذين جاء حمروش ليزف للرئيس أنور السادات أنه أقتنعهم بقيمة مصر وضرورة الحفاظ على علاقتهم بمصر كان قد تقرر إعدامهم، وأُعدموا بالفعل.

يتحدث عن المستقبل الذي أصبح ماضيا لا مستقبل له

وهكذا كان حمروش مثل الأساتذة هيكل وبهاء الدين وكل هؤلاء الذين سبقهم الزمن لا يزال يتحدث عما يتصور أنه المستقبل بينما أن ما يتحدث عنه قد أصبح

ماضيا لا مستقبل له، وهو لا يعرف ولا يتصور (ولا يستطيع حتى أن يحلم) بأن السادات تركه يذهب إلى الخرطوم في الوقت الذي كان قد شارك فيه إصدار القرار الخاص بالموافقة على إعدام زعيم الانقلاب ومن عاونوه وفي الوقت الذي ذهب فيه وزير الحربية المصرية محمد احمد صادق بنفسه ليرتب عملية القبض على زعماء الانقلاب وهم عائدون ليتولوا حكم السودان فلا يمكنهم من هذا ، وإنما يقبض عليهم بمعاونة الرئيس القذافي في طرابلس في طائرة الخطوط الجوية البريطانية.. بينما كان حمروش يقبل صديقه الشيوعي ويحتضنه بل ويضع يديه على عينيه وهو يخاطبه بأنه وصل إلى الخرطوم مهنتاً بغدر الشيوعيين بنميري.

البيان الأول الذي لم يذكر اسم مصر

ومن العجيب الذي لا يمكن للمرء أن يتجاوز عن قراءة مغزاه فيما يرويه حمروش أن البيان الأول للانقلاب تجاوز عن ذكر مصر مما لفت نظر المشير أحمد إسماعيل الذي كان مديراً للمخابرات العامة في ذلك الوقت بينما تغاضى حمروش عن دلالة مثل هذا التجاهل في ظل ما كان يبحث عنه من اطمئنانه إلى النجاح الشيوعي. و من الغريب أيضا أننا حين نتأمل كثيراً من روايات الدبلوماسيين عن أن السادات لم يكن يقرأ أو لم يهتم بما كتبه من التقارير نراهم مثل حمروش وهيكل وبهاء الدين وجمال أمين وعبد السلام الزيات وامين هويدي وكل هذا الطيف الواسع من المغترين او المعجبين بما كتبه و استنتجوه بينما هم يكتبون الخيال العلمي على طريقة ج ويلز بينما العلم وصل إلى ما فاق هذا التصور القديم.

الزمن توقف بالأستاذ حمروش

نرى الأستاذ حمروش في هذه الرواية سعيدا بأنه وثق العلاقة بعبد الخالق المحجوب المنقلب الغادر بينما الرئيس أنور السادات شارك في الموافقة على قرار بإعدام عبد الخالق المحجوب وانتهى الأمر، ومن العجيب أنه كان لا يزال يريد من السادات أن يقرأ التقرير الذي كتب فيه مثل هذه الأمانى التي لا محل لها من الاعراب بعد أن تم إعدام أبطاله ، فإذا لم يقرأ الرئيس أنور السادات هذا التقرير أصبح في نظر اليسار المصري لا يُحب القراءة ولا يُتعب نفسه فيها بل أصبح غير مثقف لأن المثقف في نظرهم لا بد أن يقرأ الكلام الفارغ من الأهمية مهما كان مستوعبا لكثير

من الصفحات والحبر. و لنقرأ الآن نص حمروش الذي يحفل بتفصيلات موحية
وتعبيرات دقيقة

كيف عرف حمروش بالخبر؟

"فوجئ الناس بأخبار حركة عسكرية قام بها بعض أعضاء مجلس قيادة حركة
٢٥ مايو ١٩٦٩ التي رأسها عندئذ جعفر نميري، سمعت أخبار الحركة أثناء سهرة
في منزل الصديق الشبلي الذي كان وقتها سفيرا للسودان في الجامعة العربية .."

خلفيات علاقته القديمة

" وفوجئت بأن الذي قام بها هو الرائد هاشم العطا ، الذي كثيرا ما زارني في
القاهرة وفي مكثي بروز اليوسف للتعرف علي طبيعة تكوين الضباط الأحرار في
مصر ، والأسلوب الذي قامت به حركة الجيش عام ١٩٥٢ والذي التقيت به بعد ذلك
في الخرطوم بعد نجاح حركة ٢٥ مايو ١٩٦٩ وكنت معجبا بشخصيته الجادة
المتزنة. لم تكن لي في ذلك الوقت علاقة بالمسؤولين في السلطة ، فقد أصبح جميع
الذين أحاطوا بجمال عبد الناصر في السجون... واستشعرت مسئوليتي كمصري
وطني يرقب حركة عسكرية يقوم بها صديق في السودان ... ولم تكن علاقتي
بالسودان محدودة ... فمنذ ثورة ٢١ أكتوبر ١٩٦٤ وعلاقتي بالسودان تزداد وثوقا
، وكانت تربطني صلات شخصية متينة مع كثير من الزعماء السياسيين من مختلف
الاتجاهات ... وازدادت هذه الصلة عندما أوفدني جمال عبد الناصر مندوبا عنه
لمقابلة جعفر محمد نميري وقادة حركة ٢٥ مايو ١٩٦٩ . أذكر أنه قال لي مبتسما
في مرارة ، أثناء مقابلته لي في مكتبه قبل السفر إلي الخرطوم مع الصديق أحمد
فؤاد : (تصور ... كانوا يبطلعوا علينا نكت ... أننا نؤيد ثورة السفينة بونتي (اسم
فيلم سينمائي) والآن تجبرنا الظروف علي تأييد ثورة السودان بطريقة سرية .

استعداد عبد الناصر لوقف الحرب من أجل دعم انقلاب النميري

وأذكر أيضا قول عبد الناصر لي : "قل لهم إنني علي استعداد لوقف الحرب في
القناة وإرسال أي قوات لدعم الحركة " .

تصوير فرحة الرئيس عبد الناصر بانقلاب النميري

"جاءت حركة الجيش في السودان بارقة أمل في السودان في الظلام الذي أحاط بمصر بعد هزيمة يونيو ١٩٦٧ ، وكانت العلاقة التي قامت بين القاهرة والخرطوم تمثل جسرا قويا من الصداقة يعطي لمصر عمقا استراتيجيا، وعبر جمال عبد الناصر عن ذلك بقوله لجعفر نميري :

"ثورة السودان أعطتني قوة وعزيمة ومنحتني أملا "

خلافات النميري و عبد الخالق المحجوب

" وتابعت عن قرب الخلافات التي وقعت في صفوف قادة حركة مايو ، والتي أدت إلي حدوث نزاع و صدام بين جعفر نميري وبين الشهيد عبد الخالق محجوب سكرتير الحزب الشيوعي . وفوجئنا في القاهرة يوما بوصول طائرة سودانية عليها راكبين ... الصادق و عبد الخالق محجوب ... أرسلهما جعفر نميري إلي مصر دون سابق انذار ، وأوفد جمال عبد الناصر شعراوي جمعة وسامي شرف وأمين هويدي لمقابلة الزعيمين السودانيين . ثم كلف محمد حسنين هيكل بأن يرعي الصادق المهدي ويقدم له كل التسهيلات الممكنة ... كما كلفني بأن أرعي الصديق عبد الخالق محجوب وأقدم كل التسهيلات اللازمة . واستضافت رئاسة الجمهورية عبد الخالق محجوب في شقة بالزمالك قريبة من منزلي "

دور عبد الناصر في الصلح بين الزعيمين

" التقى عبد الخالق محجوب مع جمال عبد الناصر أكثر من مرة ... وقامت بين الاثنين علاقة احترام متبادل . ونجح جمال عبد الناصر في إقناع جعفر نميري بأن يعيد عبد الخالق محجوب إلي السودان ، لأنه ليس من مصلحة الوحدة الوطنية أن يبقى منفيا بعيدا عن وطنه . وكان عبد الخالق محجوب قد لعب دورا رئيسيا في تحسين العلاقات بين شعب السودان وشعب مصر ... وكانت المظاهرات التي حشدتها الحزب الشيوعي السوداني لاستقبال جمال عبد الناصر في الخرطوم أثناء عقد مؤتمر القمة العربي علامة بارزة من علامات رفض الهزيمة ، والتشبث بعبد الناصر مناضلا . ولكن الجو بين جعفر نميري و عبد الخالق محجوب لم يعرف الصفاء

وصدر أمر جديد باعتقال عبد الخالق محجوب بعد وفاة عبد الناصر ولكنه استطاع أن يهرب من الاعتقال يوم ٢٩ يونيو ١٩٧١ إلي مكان أمين لا يمكن أن يتطرق إليه الشك ... لأنه كان منزل مدير الحرس الجمهوري.

قصة ابعاد هاشم العطا

"كان جعفر نميري قد ابعدها أيضا هاشم العطا وبابكر النور وفاروق عثمان حمد الله في ١٧ نوفمبر ١٩٧٠ بدعوي عقد صلات مع عناصر مخربة ... وقد سبق أن ربطت بين هذا التوقيت الذي تم بعد وفاة عبد الناصر وبين عزل نور الدين الأتاسي وتولي حافظ الأسد رئاسة الحكومة في ١٥ نوفمبر ١٩٧٠.

بيان انقلاب ١٩٧١ الأول

"البيان الأول للحركة الذي سمعته في منزل أمين الشبلي في العاشرة والرابع مساء جاء فيه : " قبل ٢٥ مايو ١٩٦٩ كانت جماهير أكتوبر تخوض صراعا عاتيا شاملا ومرهقا ضد الحكم الرجعي القائم علي تحالف الرأسمالية والاقطاع من خلال رأس المال الأجنبي الضالع في خدمة الاستعمال القديم والحديث. ونحن أفراد القوات المسلحة نعد شعبنا بأنا سنعمل علي قيام نظام سياسي ديمقراطي يستهدف المشاركة الفعالة من قبل الجماهير بكل الأشكال".

حمروش يتصل بتليفون مكتب سامي شرف

" وبمسئولية المصري الذي يسمع أخبار حركة عسكرية تقوم في أقرب البلاد إلي وطنه ، وعلي رأسها صديق أعتز بصداقته وأحترم شخصيته ... ناقشت الأمر مع أمين الشبلي ، ووجدنا أنه من المهم والمفيد أن نحاول القيام بدور مؤثر في مجري الأحداث. ولما كان جميع من أعرفهم من المسؤولين قد أصبحوا داخل السجن منذ أكثر من شهرين ، ولم تكن لي صلة جديدة مع المسؤولين الجدد في مكتب أنور السادات فقد طلبت رقم التليفون القديم لمكتب جمال عبد الناصر والذي كان يرد علي طرفه الآخر سامي شرف . وتبين أن النمرة لم تتغير ... وأن المجيب يعرفني ...

فأبلغته بما سمعت في الإذاعة وهو معروف لديه طبعاً ... ولكنني أضفت توضيحاً للعلاقة الخاصة التي تربطني بزعيم الحركة حتى ذلك الوقت الرائد هاشم العطا .

الرئاسة تكلفه بالسفر

" وعندما وصلت منزلي بعد منتصف الليل ، وجدت أن رئاسة الجمهورية قد اتصلت بي أكثر من مرة ... وعندما طلبت نمرة التليفون التي تركها المتحدث ، كان علي الطرف الآخر أنور السادات ، وبعد كلمات التحية والمجاملة ، سألتني أنور السادات عما إذا كنت أعرف هاشم العطا . فأجبت بالإيجاب ... وأضفت أنه من أنبل الشخصيات وأكثرها إخلاصاً للعلاقة بين شعبي مصر والسودان . وهنا سألت أنور السادات عما إذا كان ممكناً لي السفر إلي هناك ، لأن ضغوطاً ومكالمات كثيرة تلح عليه من طرابلس ودمشق معادية لما حدث هناك ... وأنه يريد معرفة الحقيقة . وأجبت بأنه يمكن لي السفر طبعاً ... ووجدت في ذلك فرصة نادرة لمقابلة الأصدقاء في الخرطوم لمحاولة تثبيت جسر الصداقة بينهم وبين القاهرة .

" وبدأت تنهمر علي المكالمات التليفونية من الفريق أول محمد صادق وزير الحربية ، [وكنا نستذكر دروس القبول لكلية أركان الحرب معاً] يعطيني فكرة عن الطائرة العسكرية الخاصة التي سوف تقلني إلي هناك . ومن اللواء علي بغدادي قائد القوات الجوية ، ومن اللواء أحمد إسماعيل قائد المخابرات الذي استفسر مني عن السبب في غياب اسم مصر من البيان الأول للحركة ومحاولته معرفة الأسباب الداعية لذلك ، ومن الدكتور عبد القادر حاتم الذي أبلغني أن أنور السادات قد وافق علي اقتراحه الخاص بأن يسافر معي علي السودان الصديق أحمد فؤاد الذي سبق أن سافر إلي الخرطوم يوم ٢٥ مايو ١٩٦٩ .

الترخيص للطيارة بالنزول

" لم يعرف النوم طريقه إلي عيني ... فقد وردت إشارة للقوات الجوية تمنع نزول أية طائرة مصرية في مطار الخرطوم ... وهنا طلبت منهم أن يرسلوا إشارة للمسؤولين هناك بأني القادم علي الطائرة . وعندما عرف الأصدقاء في الخرطوم أنني ذاهب لزيارتهم سمحوا لطائرتنا بالهبوط . وتحركت إلي مطار ألماتة دون أن يكون هناك أي نوع من أنواع التوجيه سوي المكالمات التليفونية التي تمت حوالي الساعة

الثانية بعد منتصف الليل مع أنور السادات . تحركت الطائرة وهبطت في الأقصر ، ثم وصلنا الخرطوم بعد ٧ ساعات شاقة ، وكان الليل قد هبط هناك . عندما نزلنا من الطائرة فوجئنا بجنود مسلحين يحيطون بنا ، وتقدم أحد الضباط بيلغنا بأن الرائد هاشم العطا سوف يقابلنا في الصباح . ولكني ألححت علي مقابلته فورا حتي نستفيد من الوقت ، ونتعرف علي حقيقة الأمر " .

اللقاء مع هاشم العطا

" وعند منتصف الليل كنا نلتقي مع هاشم العطا في مقر القيادة العامة للقوات المسلحة السودانية بمعسكر الشجرة ... ودار بيننا حديث طويل تأكدت فيه من صدق العلاقة بين الحركة السودانية والشعب المصري . أشهد أن هاشم العطا قال لنا إنه قادم من مقابلة جعفر نميري وكان يقرن اسمه دائما بكلمة (الرئيس أو الاخ) وكان يتحدث عنه باحترام يتسق مع خلقه القويم . وعندما سألته عما إذا كانت له رسالة أحملها معي للقاهرة ، استمهنني للصباح حتي يتشاور مع زملائه مكررا أن ماتم هو حركة تصحيحية لمسار حركة مايو العسكرية . "

جولة في الخرطوم

" وفي الصباح خرجت إلي شوارع الخرطوم ... كل شيء هادئ وبعض المدرعات والعربات المصفحة تقف في بعض الأماكن بغير ضجيج .. وطالعت مجلة (القوات المسلحة) التي صدرت منها ثلاثة أعداد فقط . توجهت إلي منزل الصديق عبد الخالق محجوب في أم درمان فلم أجده هناك ، وخرجت زوجته تبحث معنا عنه في منزل الدكتور مصطفى خوجلي .. وكنت قد علمت من هاشم العطا أنه قد خرج من المكان الذي اختبأ فيه ... والمدهش أنه كان حتي ذلك الوقت يختبئ في منزل قائد الحرس الجمهوري " .

مجلس قيادة الثورة الجديدة

" كان مجلس قيادة الثورة قد تشكل برئاسة بابكر النور وعضوية هاشم العطا الذي عينه قائدا عاما للقوات المسلحة ، وفاروق عثمان حمد الله وزير الداخلية

والثلاثة أعضاء سابقون في مجلس قيادة الثورة ... وكان معهم مقدم محمد أحمد الزين قائد إحدى وحدات المدرعات ، ورائد محمد محبوب عثمان شقيق عبد الخالق ولكن مجلس الوزراء لم يكن قد تشكل بعد ... صرح هاشم العطا بأن الوزارة الجديدة ستؤكد سلطة الجبهة الوطنية الديمقراطية ، وستشترك فيها كل قوي الثورة ، التي ستختار ممثليها في السلطة حتى تحاسبهم علي جهدهم داخل السلطة.

كان مجلس قيادة الثورة ذا صبغة يسارية ... وكان تأخير تشكيل الوزارة باعثة علي عدم تجميع كل عناصر الجبهة الوطنية الديمقراطية.

لقاء الظهر

"أمضيت صباح اليوم في جولة بالخرطوم انتهت بلقاء عند الظهر مع هاشم العطا وعدد من أعضاء مجلس قيادة الثورة ... ولم يكن لهم من طلب إلا الرجاء بارسال الوزراء أو أعضاء مجلس قيادة الثورة السابق المتواجدين بالقاهرة إلي الخرطوم حيث تقرر محاكمتهم محاكمة علنية.

" وحملني هاشم العطا تحياته إلي أنور السادات مع تأكيده بأن أول وافد سوداني توفده الثورة سوف يتجه إلي القاهرة التي يحرص علي حسن العلاقة معها من منطلق مبدئي ، وأن عدم ورود إشارة لذلك في البيان الأول لم يكن عن قصد مطلقا.

لقاء مع عبد الخالق محبوب ومرافقته للمطار

" وبعد المقابلة عدت إلي الفندق ، وبدأنا نستعد لرحلة العودة ... وفيما أنا جالس بعد تناول الغداء في بهو فندق السودان إذا بالصديق عبد الخالق محبوب يحيط عيني بيديه ، ونعيش لحظات نادرة من الشوق المتوهج ، بعد شهور لم نلتق فيها منذ حضر إلي القاهرة للتعزية في وفاة جمال عبد الناصر. روي لي عبد الخالق محبوب ما سمعه عن قصة الحركة التي تمت لأول مرة في العصر مخالفة تقاليد الانقلابات التي تتم غالبا مع أول ضوء في الفجر ، أو تحت ستر الظلام. وأكد لي ثقته بسلامة العلاقة بين شعبي مصر والسودان ، وذلك من جهة الذين تحركوا في اليوم السابق لتغيير وجه السلطة في السودان "

" رافقني عبد الخالق محبوب من الفندق إلي المطار ، وودعني حتي سلم الطائرة ... تعانقنا طويلا ، وكانت عيناه آخر ما رأيت في السودان حتي اليوم. وصلنا القاهرة

ليلا ، وجدنا في المطار ضابطا من الرئاسة يبلغنا بأن أنور السادات يفضل أن يلتقي بنا غدا صباحا ... وكان ذلك ما توقعته إذ كنت أريد نقل صورة سريعة وكاملة لمشاعر وآراء الأصدقاء في السودان.

لقاء مع الرئيس السادات في القناطر

" وفي العاشرة صباحا ذهبت لمقابلة أنور السادات في القناطر الخيرية ... دون أن أكتب تقريرا عما حدث . ولما تأخر في الحضور قليلا طلبت ورقة وقلمما كتبت عليها في كلمات موجزة ما طلبه مني الاخوة في السودان ، وحرصت علي أن أنبه أنور السادات بأن يشيد بما تم في السودان ضمانا لحسن لعلاقة وذلك في خطاب ٢٣ يوليو وكنا يومها ٢٢ يوليو ... ووقعت علي المذكرة مع أحمد فؤاد الذي رافقني طوال الرحلة وكنا معا في المقابلة . وجلسنا معا في الحديقة تحت شجرة عتيقة ، وكانت هذه أول مرة أذهب فيها إلي استراحة القناطر الخيرية بعد وفاة جمال عبد الناصر . وشعرت بفارق كبير .

" لم يقرأ أنور السادات الورقة التي قدمتها له وإنما وضعها بجانبه علي المائدة . لم يتحدث فيما ذهبنا إليه ... وإنما فتح موضوع انتخابات نقابة الصحفيين وقال إنه نصح موسي [صبري] بعدم الدخول ... وتحدث أيضا عن الروح السائدة في الصحافة عموما ، والتي لا تتفهم طبيعة دوره . كان غريبا أن يتشعب بنا الحديث بعيدا عن محور الرحلة ... وكان مثيرا أن تكون الجلسة بعيدة أساس عن تفاصيل ما حدث في السودان " .

السادات يفاجئهم بالحقيقة المرة

" قال لنا أنور السادات في مفاجأة مذهلة أن طائرة الخطوط الجوية البريطانية التي كانت تقل بابكر النور وفاروق عثمان حمد الله قد أجبرت بوساطة معمر القذافي علي الهبوط في طرابلس . وكدت أقفز من مقعدي وأنا أطلبه بسرعة التدخل للافراج عن الضابطين السودانيين اللذين كان أحدهما وهو بابكر النور قد عين رئيسا لمجلس الثورة ، وذلك لمعرفتي بطبيعة السودانيين الذين يرفضون الغدر ... ولكن السادات كان هادئا ولم يشأ أن يفتح بابا عريضا للحديث فيما وقع " .

" ودهشت عندما وجدت أن بونامارييف قد وصل مع الوفد السوفييتي إلي استراحة القناطر فنهضت معتقدا أن أنور السادات لا بد وأن يتحرك لاستقبال ضيوفه ... ولكنه طلب منا الجلوس ، بما معناه أنه لا بأس من أن ينتظروا قليلا. دخل الضيوف السوفييت إلي المبنى الذي اعتدنا أن نلتقي فيه بجمال عبد الناصر ... وتحرك أنور السادات ببطء ليرحب بضيوفه. "

اجترار المقارنات

"وفي الطريق لم نتمالك أنفسنا أحمد فؤاد وأنا من المقارنة بين جمال عبد الناصر وأنور السادات ... وبين الشعور بالدهشة والقلق من أسلوب الحوار ، ومن حادث إجبار الطائرة علي الهبوط في ليبيا. وتوالت الأخبار علينا كالصواعق مع عصر ذلك اليوم ، تنبئنا بما حدث في الخرطوم ... سقوط طائرة عراقية في السعودية كانت في طريقها من العراق إلي السودان ... وقيام حركة في القوات المسلحة السودانية ... واغتيال عدد من الضباط المعتقلين ... وهروب جعفر نميري من القصر الجمهوري ... ثم إعدام أربعة من ضباط الحركة وهم هاشم العطا ، ومعاوية عبد الحي ، وعبد المنعم محمد أحمد ، وعثمان حاج حسين قائد الحرس الجمهوري ".
" وكان قادة الانقلاب الذي اختفت طائرتهم في ليبيا قد أرسلوا إلي السودان تحت حراسة مشددة ، حيث أعدم فاروق حمد الله يوم ٢٦ يوليو وأعدم بابكر النور يوم ٢٧ يوليو وأعدم معه في نفس اليوم الشفييع أحمد الشيخ رئيس اتحاد نقابات عمال السودان

السادات يطلبه للقاء آخر

" وفي وسط هذه الأخبار المؤلمة التي غيرت وجه السودان وأغرقته في مذبحه دموية رهيبة ، فوجئت بصوت أنور السادات يطلبني في مكتبي بروز اليوسف ، للحضور لمقابلته في استراحة القناطر . ذهبت إلي هناك متسائلا عن السبب في هذه الدعوة المفاجئة .

" وفي الساعة الثانية ظهرا قابلت أنور السادات ، وكان يجلس علي باخرة نيلية تقف علي سطح النيل أما حديقة الاستراحة ، وفوجئت به فور مقابلتي له قائلا : كنت أنوي تعيينك في اللجنة المركزية لولا تقريرك عن السودان ... مثل صديقك الذي كان هنا الآن ... لطفي الخولي ، ودهشت ... فلم أكن قد كتبت له تقريرا ، وإنما

سجلت له فقط مطالب هاشم العطا وزملائه ، وحرصى علي أن يشير إليهم مؤيدا في خطاب ٢٣ يوليو ... وعندما قلت له أنني لم أكتب تقريرا تبين أنه لم يقرأ الورقة التي قدمتها إليه .

" ودار بيننا حديث طويل كان يشكل عندي ما يشبه الصدمة لما حواه من اتجاهات معادية تماما لما حدث في السودان ، ورغبة في إلقاء العباء في عدم القتال إلي نقص في الأسلحة السوفيتية ، وتبسيط لما يطلبه منه الأمريكان لحل المشكلة .

الفراق بينه وبين السادات

" ودارت بيننا مناقشة طويلة انتهت في الرابعة والربع مساء وهو يردد (انت تعبتني يا احمد) ثلاث مرات ... وكانت هذه هي المقابلة الأخيرة مع أنور السادات حتي وافاه القدر .

" وكان أنور السادات قد أشار في خطابه يوم ٢٣ يوليو إلي ما حدث في السودان قائلا : بس أنا يهمني أقول قدامكم حاجة عايز أسمعها للكل .. عايز أقول أن اتحاد الجمهوريات العربية المتحدة ودوله يهمني ، وعلي أي واحد ، وأي قوة بتفكر أنها تعمل أي حاجة في أي دولة من دول ميثاق طرابلس انها تفكر عشر مرات " .

موقف القذافي و الفريق صادق

" كشف التواطؤ الذي قام به أنور السادات مع معمر القذافي عندما أرسل له الفريق أول محمد صادق ليدبر خطة إنزال طائرة الخطوط الجوية البريطانية واعتقال زعماء حركة ١٩ يوليو عن موقف حريص علي ضرب أي حركة يسارية" .

تصنيف حمروش بأن مصر أصبحت كسوريا و ليبيا أقل تقدمية

" وبذلك يمكن القول بأن النظام في مصر قد تراجع خطوة عن موقفه ليتساوى مع النظام الليبي والسوري في ذلك الوقت ، حيث كان موقعهما أقل تقدمية من موقف النظام المصري في عهد جمال عبد الناصر ، الذي كان حريصا علي استيعاب الحركات اليسارية والتقدمية والتعاون معها دون تناقضات دموية . ويلاحظ أيضا أن ما حدث في السودان ما كان يمكن أن يتم لو أن جمال عبد الناصر لم يلحقه القدر " .

نقده موقف الصحافة المصرية مما حدث للشيوعيين في الخرطوم

وانتهزت بعض الصحف المصرية وخاصة الأخبار فرصة ما حدث في السودان للتشهير باليسار عامة وبالحزب الشيوعي السوداني خاصة ، في إثارة ملحوظة ، رغم الأسى الذي عمّ الوطن العربي حزنا علي إعدام مجموعة من خيرة المناضلين والمتقنين العرب ، والذين كان آخرهم عبد الخالق محجوب يوم ٢٨ يوليو بعد محاكمة بدأت علنية ثم انقلبت سرية أمام ثباته وشجاعته . وفي اليوم التالي مباشرة سافر أنور السادات إلي طرابلس .

السوفييت يفرملون نميري

خلال هذه الفترة حاول بونامارييف وقف الاندفاع الجنوبي نحو الاعدام في السودان بالتوسط لدي أنور السادات أثناء زيارة النميري القاهرة للمشاركة في الاحتفال بالعيد التاسع عشر للثورة ، ولكنه لم يستجب له . وكان من أول الأعمال التي قام بها جعفر نميري إبعاد سفير بلغاريا وإخراج مستشار السفارة السوفيتية وذلك بعد سحب سفير السودان من موسكو وصوفيا .

حمروش ينقل رواية الكاتب الصحفي إيريك رولو

وقد شرح الكاتب الصحفي إيريك رولو بعض ما حدث أثناء رحلتنا إلي السودان في مقالاته التي نشرت بصحيفة لو موند الفرنسية تحت عنوان: " انهيار الكميونة في السودان) بتاريخ ٢٠ أغسطس ١٩٧١ إذ قال:

"وحتى يتم وضع وتنفيذ مشروع التدخل في السودان ، أراد الرئيس السادات أن يخدع خصمه ويضلله . فبينما صدرت الأوامر إلي الصحف المصرية بالالتزام الحياد الكامل بشأن انقلاب ١٩ يوليو ، أرسل الرئيس السادات ، في ٢٠ يوليو أيضا ، اثنين من الشخصيات اليسارية المصرية " في مهمة استعلامية " إلي الخرطوم ، حتي يبعثا الثقة والطمأنينة في نفس هاشم العطا وإخوانه ...

وهكذا سافر إلي الخرطوم أحمد حمروش رئيس تحرير روز اليوسف الأسبوعية ، و أحمد فؤاد رئيس مجلس إدارة بنك مصر ، وهما من الأصدقاء المقربين لعبد الخالق محجوب السكرتير العام للحزب الشيوعي السوداني "

رولو يكشف موقف الانقلاب ضد اتحاد الجمهوريات

" وهكذا أظهر عبد الخالق محجوب وهاشم العطا علامات الود والصداقة تجاه الجمهورية العربية المتحدة ، وأعلننا أنهما يتمنيان أن يستمر التعاون بين البلدين ولكن خارج نطاق اتحاد الجمهوريات العربية ، لأنهم لا يؤيدون قيامه ، وأكدوا أنهما لا ينويان أبدا إقامة نظام شيوعي في السودان ، ووعدا بالمحافظة علي حياة اللواء جعفر نميري وفقا لرغبة الرئيس السادات.

رولو يروي تفاصيل اسقاط الانقلاب

"وبينما كان مبعوثا الرئيس المصري يطيلان الأحاديث الودية مع الزعماء السودانيين ، كانت مصر وليبيا تستعدان لإسقاط هاشم العطا . وقد تم تخطيط التدخل علي فترتين فوزير الدفاع السوداني ، خالد عباس حسن ، الذي كان موجودا في بلجراد ، توجه يوم ٢٠ يوليو سرا إلي القاهرة علي متن طائرة خاصة . وفي اليوم التالي سافر إلي طرابلس بصحبة الفريق صادق ، وفي العاصمة الليبية اكتملت العملية المزدوجة التي كان يجب أن تفتح الطريق أمام الانقلاب المضاد يوم ٢٢ يوليو : تحويل خط سير الطائرة التابعة لشركة الخطوط البريطانية والتي كانت تقل القائدين الرئيسيين للحكومة السودانية الجديدة ، بابكر النور وفاروق عثمان حمد الله.

"ليس هذا فقط ... بل يقال إنه نقل ألفين من رجال المظلات السودانيين في طائرات مصرية، إذ أن ١٥ طائرة كانت قد هبطت بالقرب من الخرطوم علي قاعدة تستخدمها القوات الجوية المصرية – فقد استخدم في ساعة مبكرة من صباح يوم الخميس ٢٢ يوليو ، أي قبل الانقلاب المضاد بعدة ساعات وليس صباح الجمعة كما تؤكد السلطات الرسمية ، وعلي ظهر هذه الطائرات كان هناك حوالي أربعون ضابطا أغلبهم من المصريين.

"وموقف أنور السادات من حركة ١٩ يوليو ١٩٧١ والتدبير الذي اشترك فيه مع الدول الأقل تقدمية من مصر في ذلك الوقت (ليبيا وسوريا) يظهر اتجاهها يحمل في مضمونه عداا غير مباشر للسوفييت ... عداا لا يمكن أن تغلفه عبارات المجاملات الرقيقة ، ولا مواد معاهدة الصداقة التي لم يجف مدادها بعد ."

الباب الخامس : نصوص الدبلوماسيين حين يتحسبون

الفصل السادس : مذكرات عمرو موسى

قليل من الاهتراء وبعض من الافتراء

أبدأ فأقول إنني كنت ولا أزال من المُقدِّرين لمواهب الوزير عمرو موسى وكفاءاته في أكثر من مجال، كما أنني من المُقدِّرين لإجهاده نفسه في نشر مذكراته التي هي واجب قومي ووطني كان لا بد له من أن يقوم به، كما أنني على صعيد ثالث مُعجب بالجُهد الذي بذله في هذه المذكرات وفي تكوينه فريق العمل الذي أنجزها، وبالطبع فإنني على صعيد رابع معجب بعناصر التوفيق والتحقيق والتنسيق التي مارسها هذا الفريق المُتميّز الذي ضمَّ فيمن ضم خالد أوبكر.

و مع هذه العناصر الأربعة من الإعجابات، فإنني مُعجبٌ بتبويب المُذكرات وفصلها الذكي بين النص الأصلي والنصوص المُساعدة والمراجع والهوامش ، ولا شكّ في أن دار النشر العظيمة التي أنجزت هذا العمل الكبير وهي دار الشروق تستحقُّ أن تُكرَّرَ لها الشُكر على كلِّ ما قامت به في هذه المذكرات وفي غيرها من المذكرات.

و مع هذا كله ، فإنني مُندهش أشدَّ الاندهاش من هذا الذي ارتضاه الوزير عمرو موسى لمُذكراته، ولكي أسهّل على القارئ (أولاً) وعليه (ثانياً) أن يعرف ماذا فعل ، فإنني أتصوّر شركة بيير كاردان وقد أنجزت حُلّة فاخرة ممّا تُسمّه في اللغة الدارجة "بدلة" وراعت فيها كل العناصر الكلاسيكية في خطوط إنتاج الملابس الفاخرة ثم خطر ببالها أن تضع على هذه الحلة الجميلة ختماً يقول إنها هُنْدست في عصر احتلال هتلر لباريس، وهو المعروف بعصر حكومة فيشي، ولم تكتف الشركة بوضع هذا الخاتم على أطراف الأكمام أو على الجيوب أو في موضع ما بالقرب من الأزرار ، وإنما حرصت على أن تُكرَّرَ وضع هذا الخاتم على مقاطع مُتعدّدة من البدلة ، فوضعت على يمين الياقة ، وعلى يسار الجيب الأيمن، وعلى يمين الزرار الأوسط، وعلى يسار الزرار الأعلى.. وهكذا.

قصة بدلة فاخرة [تشوّهت] بهذه الأختام

هل يتصوّر أستاذنا الوزير عمرو موسى شكل البدلة الفاخرة وقد [تزيّنت] أو [تشوّهت] بهذه الأختام التي قد تُسعدُ حكومة فيشي أو تُسعدُ دعاية هتلر ، بينما هي قد شوّهت البدلة؟ قد لا يقف الأمر عند تصوّر أستاذنا الوزير عمرو موسى لهذا الذي فعلته يد الإنتاج في مُذكّراته، ولكنه بعد هذه المقالة إن قُدّر له أن يراها وأن يندفع إلى مذكراته ليقراها قراءة الضيف المُستمع فسوف يكشفُ في سهولة ويُسرٍ أنه شوّه مذكراته من حيث لا يدري ، ومن حيث لم يقصد ، وسوف يكتشف في لمح البصر أنه جنّى على مُذكّراته حتى إن مذكراته تستصرخُ وتقول قول أبي العلاء المعري: هذا ما جناه أبي عليّ!!

النسيج الأصلي واضح، والختم المُقحم واضح أيضاً

لا أحبّ أن أتمادى في تصوير الافتراء الذي حفلت به الأختام النافرة التي وضعها الوزير عمرو موسى على مذكراته، ولا أحبّ أن أتناول هذا الافتراء ولا شكله، ولست أحبّ له أن يُحاول أن يُدافع عن نفسه بالمُحاجاة أو المُحاكاة ، ذلك أن النسيج الأصلي واضح، والختم المُصطنع والمُقحم واضح أيضاً. أعرف بالطبع أن الوزير عمرو موسى بشر، لكني أعرف أيضاً أنه إنسان ، وأعرف أنه شخصية لا تخلو من العيوب الحميدة الصغيرة ، لكنّي أعرف أيضاً أنه شخصية حافلة بالسجايا، ولهذا فإنّي أتعجّبُ من أن يقبل على نفسه أن تصدر مذكراته وفيها هذه اللمسة المُتكرّرة من الافتراء المُتكرّر بلا مُبرّر.

نماذج من الاهتراء

أنتقل من الافتراء إلى الاهتراء وليس العيب فيه عيباً من الوزير عمرو موسى ولا من فريق الوزير عمرو موسى ، لكن العيب يكمن في البيئة التي منها الوزير عمرو موسى ، و البيئة التي فيها الوزير عمرو موسى، و مع هذا فإن هذا العيب الاهتراء كان ينتظر من الوزير عمرو موسى أن يتكفّل بإصلاحه حين يكتب مُذكّراته، والأمر شبيه بما تفعله الشركات الكبرى التي تتولى إنشاء خطوط المترو الجديدة من إعادة بناء شبكات البنية الأساسية كلها في منطقة إنشاء وحفر المترو بما

يضمن لها ولخطوط المترو ، وللمناطق التي تمضي فيها خطوط المترو سلامة، وأمناً، ورُقياً ، وتجديداً.

أضرب على هذا الاهتراء أمثلة بسيطة واضحة مُحدّدة سوف تزعجُ الوزير عمرو موسى وفريق الوزير عمرو موسى حين يكتشفون أن مُذكَراته طبعت وهي تحويها على هذا النحو غير اللائق بها .

محمد رياض وزير الدولة الذي تاه منه ذكره

أول هذه الأمثلة هو الهامش الذي خصّصه الوزير عمرو موسى للحديث عن محمد رياض وزير الدولة للشئون الخارجية في عهد إسماعيل فهمي، ذلك أن هذا الهامش ضعيف جدا إذا ما قورن بالهامش المثيلة ، فهو يفتقد تاريخ وفاة محمد رياض بعد ميلاده على نحو ما فعلت الهوامش الأخرى في كلّ الشخصيات التي خُصّصت لها هوامش، كما يفتقد الإشارة إلى توليه المسؤولية عمّا سُمّي بجامعة الشعوب العربية والإسلامية التي أسّسها الرئيس السادات بعد نقل الجامعة العربية إلى تونس ومسئوليته أيضاً عن مقر الجامعة العربية بالقاهرة بعد انتقالها إلى تونس ، و يحدث هذا على الرغم من اعتراف الوزير عمرو موسى بأن محمد رياض كان من أهمّ من شكّلوا حياته الدبلوماسية وخبراته فيها، و على الرغم من امتنانه لهذا الرجل الذي لم يشر إلى أنه تربطه به أكثر من صلة نسب.

فريق المذكرات لم يعرف طريقاً يعرفه صاحبها

السبب في هذا العيب أو النقص يعود إلى أن فريق المذكرات لم يعرف الطريق إلى موضع ما كتب عن محمد رياض مما كتبه صاحب المصادر المرجعية التي استعان بها عمرو موسى في مذكراته ، و ربما أتوقّف هنا لأدعو القارئ إلى أن يترحم على هذا المصدر الوحيد الذي نقل عنه الوزير عمرو موسى ، وفريق عمله من دون الإشارة إليه والترحم عليه حياً وميتاً، و مع أنهم ينقلون عنه وعن مصادر نقلت عنه ، فإنهم لا يذكرون فضله .

إغفال ذكر وزير الدولة محمد فائق كأنه لا يعرفه

ثاني هذه الأمثلة أن يُغفلَ الوزير عمرو موسى الإشارة إلى وزير من العسكريين كان وزير دولة للشئون الخارجية ولا يزال رغم شيخوخته يملأ الفراغ الرسمي البيروقراطي ، وإن لم يكن له أثر حقيقي في الحياة السياسية غير الأثر الدعائي ، هذا الوزير هو الوزير محمد فائق الذي تولى مسؤولية وزير الدولة للشئون الخارجية ، و الذي تولى وزارة الإرشاد القومي أيضاً وكان توليه للإرشاد وللقومي قبل الأستاذ هيكل وبعده فلما تولى الأستاذ هيكل الإرشاد القومي أصبح هو وزيراً للدولة للشئون الخارجية، وهنا أترحمُ أيضاً على صاحب المصدر الذي ينقل عنه الوزير عمرو موسى وفريقه دون أن يذكره أو يترحموا عليه حياً وميتاً.

لا يعرف أحمد خيرت سعيد أول نائب لوزير الخارجية

ثالث هذه الأمثلة مثل مَضْحَك إلى حد الفكاهة ، ودرامي إلى حد البكاء، وهو أن الأستاذ الوزير عمرو موسى أراد أن يتحدّث عن ديبلوماسي قديم تولى منصب نائب وزير الخارجية في زمن الدكتور محمود فوزي ، وهو أحمد خيرت سعيد ، وبدلاً من أن يذكر الوزير عمرو موسى الاسم الصواب أخطأ فذكر اسم رائد من رواد القصة القصيرة هو الأستاذ أحمد خيرت سعيد مؤسس مجلة الفجر الذي كان بمثابة رائد ما سُمِّيَ بالمدرسة الحديثة في الأدب التي مصّرت القصة القصيرة ، والتي ينتمي إليها محمود طاهر لاشين والدكتور حسين فوزي والأساتذة يحيى حقي ومحمد تيمور ومحمود تيمور وعيسى عبيد و شحاته عبيد وحسن محمود. و العجيب في أمر الديبلوماسي أحمد خيرت سعيد أنه صهر لوزير الخارجية محمد إبراهيم كامل الذي تحرّش بأداء الوزير عمرو موسى في أثناء تولّيه الوزارة، ورد الوزير عمرو موسى على تحرّشه بتحرّشٍ مُماثل في مُذكَراته، لكن الأكثر طرافةً أنه صهر أيضاً للسفير محمد شاعر صديق الوزير عمرو موسى.

سردياته عما بعد ١٩٥٢ أضعف من سردياته عما قبلها

رابع هذه الأمثلة يتّصلُ بها جميعاً ويقول إن السرديات عن تاريخ حقبة عبد الناصر والسادات في مُذكَرات الوزير عمرو موسى ليست بنفس الدرجة من

التماسك التي تحظى بها حقبة النحاس باشا في هذه المُذكَرات ، وذلك على الرغم من شراكة الوزير عمرو موسى الفاعلة في عصور عبد الناصر والسادات ومبارك مع اختلاف المُستويات، ومن هنا فإن كتابة ما يُسمّيه الغزالون بنول النسيج اعتمدت اعتماداً مطلقاً على ما هو موجود من كتابات اليهود عن هذا التاريخ المصري الوطني الداخلي ، وذلك لسبب واحد وهو أن الأستاذ الوزير عمرو موسى وفريقه لم يبذلوا جهداً في البحث عن مصدر جيّد (هو بالفعل متاح) ليصنعوا منه أنوال النسيج التي يكتبون عليها مُذكَرات واحد ممّن ساهموا بعد ذلك في صياغة النسيج وتلويحه وتفصيله وصناعة ملابس جاهزة منه أي الوزير عمرو موسى نفسه .

ولو أن الوزير عمرو موسى أخذ على سبيل العيّنة فقرة من كتابته عن حقبة الليبيرالية التي لم يكن له فيها شأن وظيفي بحكم السن وقارنها بفترة أخرى عن أيّ فترة من حقبة ثورة ١٩٥٢ التي كان له فيها شأن وظيفي لوجد أن الصورة فيما بعد ١٩٥٢ مُصابة بضُعف في البكسل (أي عدد النقاط المتاحة في البوصة المربعة الواحدة) إذا ما قورنت بصورة ما قبل ١٩٥٢ ، حيث البكسل أو الصورة في أبهى حالاتها، وهنا نكرر الترحم على من كتب أفضل مراجعه عن حقبة النحاس فنشرت ، كما كتب كتباً مرجعية عن حقبة السادات وعبد الناصر فتأجل نشرها بسبب شارك فيه الأستاذ الوزير عمرو موسى نفسه .

الفصل السابع : مذكرات السفير أحمد أبو الغيط

عازف لكنه لا يصنع الالحان

أبدأ حديثي عن مذكرات الوزير أحمد أبو الغيط بالاعتراف بما اعتراني طيلة العيش معها من الشعور المتكرر بالانقباض ، ولهذا قصة قصيرة قديمة لا بد منها، فقد كان واحد من أساتذتنا الكبار في الطب إذا أراد أن ينتشل احداً من تلاميذه من أحلام اليقظة قال له : احذر يا بني أن تكون من نموذج النائب الممتاز الذي يترقى حتى يُصبح أستاذاً عادياً، وكان يضرب كثيراً من الأمثلة من زملائه من أساتذة الطب ممن كان نجمهم في شبابهم المبكر مُبشراً بأكثر ممّا وصلوا إليه، وكان أساتذنا مُغرماً بأن يُعدّد ويدرّس أسباب الانحدار في المستوى الذي يُصادفه من كان مُحبوهم يتمنون لهم مزيداً من التآلق.

الاكتفاء

وكان في مقدمة هذه الأسباب الاكتفاء أي ان يكتفي المعيد الواعد بنجاحه المُبكر في بداياته عن أن يستمر في النجاح مُفضلاً أن يلتفت إلى ما يصادفه مما هو مؤهل له من المادة أو الوجاهة أو السلطة أو النفوذ من دون أن يُنمّي من مُستواه العلمي والمهني والفكري بما يتناسب مع تألقه المُبكر ومع خبرته القادمة.

إجهاض الاحلام

شكان السبب الثاني الذي يلفت أساتذنا نظرنا إليه هو اليأس حين تُجهض الأحلام الباكرة فيتحوّل صاحب الأحلام بنفسه إلى إجهاض فكرة القدرة على الحلم فيجهض هذه القدرة نفسها كنتيجة لإجهاض حلم واحد وهكذا يمضي مثل هذا الرجل مُتوجهاً إلى ما هو ممكن من المكاسب بدلاً مما هو منشود من الأمجاد.

الاستجابة للغواية

أما السبب الثالث الذي كان أستاذنا يلفت نظرنا إليه فهو الغواية حين يستجيب الطبيب لغواية الحب والعاطفة ، أو اللذة والإدمان، أو القوة والتأثير، فيُعدي عناصر هذه الغواية بما تستحقه من حياته و ذاته باذلاً فيها الجهد بدلاً من أن يُعنى بما رُزق من موهبة وكفاءة تنتظران التغذية والتنمية والترقي والارتقاء.

أفضل من يمثل ظاهرة خاصة به

أقفر لأقول بكلّ صراحة إن أستاذنا لو كان على قيد الحياة، ورويت له قصة أحمد أبو الغيط لأضاف على طريقته سبباً رابعاً لفشل الأستاذ في ان يُحقّق في الأستاذية مجدداً يُوازي ما كان حقّقه في بداية حياته.. وكان استاذنا على طريقة الأطباء حريا بأن يُسمي هذا السبب الرابع بظاهرة أحمد أبو الغيط وذلك على طريقة العلماء الكبار في تسمية بعض الظواهر الطبية بأسماء المُصابين بها أو الذين اكتشف العلماء الباحثون الظاهرة الطبية في تاريخهم المرضي المُتاح امامهم بالتحليلات والفحوص والسجلات.

بدايته أقوى بكثير من نهايته

نعم فقد كان أحمد أبو الغيط حين بدأ خطواته الأولى في سلك الدبلوماسية أقوى بكثير من أحمد أبو الغيط وهو يُودّع وزارة الخارجية في مارس ٢٠١١ بعد أن قامت ثورة يناير ٢٠١١. ولست أتجنّى بهذا الحكم على أحمد أبو الغيط بل إنني ربما أروّع القارئ بأن أذكر له أن أحمد أبو الغيط قد كتب كتاب مذكراته الضخم الفخم و كأنه ما كتبها إلا لا لسبب واحد ، هو أن يُثبت هذه الحقيقة التي جاءت ساطعة ناصعة في كلّ صفحة من صفحات كتابه ، حتى إنه اضطر نفسه إلى أن يلجأ إلى منهج لم يلجأ إليه أيُّ مؤلف ولا أيُّ صاحب مذكرات من قبل بأن يروي لنا ما كان قد كتبه في مذكراته عن يوم ما في شهر ما في سنة ما ، ثم بعد أن ينقل لنا بعض ما كتبه في مخطوطاته القديمة، فإنه يروي رأيه الجديد فيما كان هو نفسه قد ارتآه في ذلك اليوم العتيق .

قلت لنفسي : ليت أحمد أبو الغيط نشر مذكراته القديمة في أعلى الصفحة ثم جعل لها هوامش شارحة ومعلقة في الجزء الأسفل والأكبر من الصفحة حيث يُحدثنا عما يتذكره اليوم بعدما حدثنا عما كان يتصوره بالأمس.

قلت لنفسي : ليت أحمد أبو الغيط فعل هذا.. لكنه لم يفعل هذا لأنه كان هو نفسه أحمد أبو الغيط ، ولت أحمد أبو الغيط اقتصر فيما سجّله من المذكرات على الجديد فقط لكان قد قدم شيئاً قيماً جميلاً.

قلت لنفسي : ليتته اقتصر على القديم فقط من دون هوامش ولا تعليقات لقدم شيئاً رائعاً مُتميّزاً.

شوش على الشاب الواعد أحمد بأحمد الشيخ القاعد

أما ما فعله أحمد أبو الغيط في مذكراته فهو أنه شوش على الشاب الواعد أحمد بأحمد الشيخ القاعد، كما أنه من ناحيةٍ أخرى ، قلل من جهد الشيخ الحكيم برواية لمحات ذكاء الشاب المُنطلق.

بدأت معرفتي باسم أحمد أبو الغيط ومكانته من حديث الأستاذ فتحي رضوان الذي كان صهراً للسفير كمال الدين صلاح والد زوجة أحمد أبو الغيط ، وبفضل وجود فتحي رضوان في السلطة في أول عهد الثورة فإن العسكريين على غير عاداتهم كرموا اسم الشهيد السفير كمال الدين صلاح الذي استشهد وهو يؤدي دوراً دبلوماسياً في الصومال بأن أطلقوا اسمه على هذا النفق الجميل الذي يعبر فوقه كوبري قصر النيل حيث يصل إلى ميدان التحرير، كنا ونحن صبية نقرأ هذا الاسم على لافتة جدران النفق ولا نعرف من هو كمال الدين صلاح إلى ان جاء فتحي رضوان على ذكره في مذكرات له، وسألته عنه، وكان من ضمن ما رواه له أنه والد زوجة أحمد أبو الغيط الشاب الواعد في ذلك الوقت.

رأي محمد إبراهيم كامل

وما هي إلا سنوات قليلة ونشر محمد إبراهيم كامل مذكراته التي نشرها الأهالي في كتاب الأهالي بمقدمة خطابية لا يمكن وصفها بأقل منها "مروعة" للأستاذ فتحي رضوان نفسه وهي المذكرات التي تحدث فيها محمد إبراهيم كامل باعتزاز عن أحمد أبو الغيط ، فلما تدارستها في كتابي "من أجل السلام" كُنت حريصاً على إثبات ما

لاحظته من أن السفير محمد إبراهيم كامل كرّر الثناء على أحمد أبو الغيط بنفس الوصف ، وهو أنه يصلح لكل المواقف ، في ثلاثة مواضع.
هكذا كانت صورة أحمد أبو الغيط الذي استحوذ على ثقة كاملة من أربعة على الأقل من الوزراء المتعاقبين للخارجية والشئون الخارجية، فكان يداً يمينى أو إصبعا من اليد اليمنى للدكتور أحمد عصمت عبد المجيد ومحمد إبراهيم كامل وكمال حسن علي ومحمد حافظ إسماعيل في مراحل مختلفة من حياته.

اسمه يتردد

ولهذا السبب ولأسباب أخرى كثيرة كُنت وكما هو مثبت في لقاءات صحفية في ٢٠٠١ أرشح اسمه ليخلف عمرو موسى في منصب وزير الخارجية بيد أنه لم يخلفه مباشرة وإنما خلفه بعد صديقهما المشترك أحمد ماهر الذي تولى الخارجية من ٢٠٠١ - ٢٠٠٤.

وهنا أقول بكلّ صراحة إن أبو الغيط كان مرشحاً لنجاح أكبر لو كان تولى الخارجية في ١٩٩١ حين شارف الخمسين ولنجاح كبير لو تولّاها في ٢٠٠١ لكنه أصبح مرشحاً لهذا النجاح المحدود الذي حقّقه حين تولّاها في ٢٠٠٤ ودليلي على هذا هو مذكرات احمد أبو الغيط نفسه، فقد كتب هذه المذكرات ليقول بكلّ وضوح إنه كان قادراً على نجاح أكبر لو أنه كان قد وصل على المسؤولية الكبرى مُبكراً لكنه أثقل نفسه بإحباط السنوات بأكثر مما أثقلها بخبرات هذه السنوات، وأثقل كاهله بفشل الآخرين الذي لم يكن مسئولاً عنه، وأثر أن يكون وهو في سن الستين وما بعدها وحتى السبعين شبيهاً بالأستاذ محمد القصبجي حين رضي من صحبة أم كلثوم بأن يكون عازفاً على العود فحسب ، ولم يشغل باله بأن يصنع من كانت قادرة على أن تنافس أم كلثوم في ميدان ما ، بعدما كان هو الملحن الذي وصلت معه إلى أول القمم العالية التي وصلت إليها..

أما أبو الغيط فإنه بقي عازفاً جيداً أو متميّزاً لكنه لم يصل حتى الآن إلى أن يكون ملحناً من أي طبقة، مع أنه كان في وسعه عن حق أن يصل إلى ما لم يصل إليه كل أسلافه بدءاً من الدكتور محمود فوزي وحتى أحمد ماهر، ذلك أن أحمد أبو الغيط تولى منصبه في سنوات الإعلام الهادر التي كانت كفيلة لألحانه بالعزف على نطاق عالمي لو أنه لحنها.. لكنه لسبب لا نعرفه أثر ألا يلحن واكتفى بالعزف.

اختار أن يعزف على الساكسفون

تسألني على أية آلة عزف أبو الغيط فأقول لك إنه اختار أن يعزف على الساكسفون بما تتميز به هذه الآلة من رتابة مريحة لكنها ليست مثيرة للأحاسيس ولا للانفعالات إلا أن يصحبها عزف حاكم من آلات أخرى.

وهذا هو أدق تشخيص لما قدّمه أحمد أبو الغيط مع أنه كان بوسعه أن يستلهم تجارب أسلافه وأقاربه على نحو يهزّ الدنيا بألحان رائدة ومبتكرة لرجل كانت كلّ الظروف تخدمه لكنه أبى أن يخدم نفسه.

إذا قلت لي إن الظروف كانت أقوى منه فقد شاركتني الرأي دون أن تدري أنك شاركتني الرأي.

قُدرة فائقة على الإنصاف حين يُريد أن يُنصف

بقي أن نذكر لأبو الغيط قُدرة فائقة على الإنصاف حين يُريد أن يُنصف، فهو يملك من أدوات الإنصاف الكثير: العقل والتعقل والنية والتدليل والمعرفة والمنطق، لكننا لا نستطيع أن نقف عند حدود الإشارة بإنصافه من دون أن نُشير إلى أنه فيما كتب قد بدأ يُعاني إجهادات الذاكرة بصورها المُتعدّدة فهو يتحدث عن الدكتور مصطفى خليل في أكثر من موضع مهم بينما هو بحديثه يقصد الدكتور عزيز صدقي، ومن الطريف أيضا أنه حين يريد أن يتذكر اسم قائد الجيش الثاني الذي خلف سعد مأمون في اثناء حرب أكتوبر فإنه يُسميه سعد خليل وهو يقصد عبد المنعم خليل، وقد جاءه اللبس بالطبع من أن عبد المنعم خليل كان يشترك في اسمه الأول مع قائد الجيش الثالث عبد المنعم واصل وهكذا فإن الذاكرة المجهدّة جعلته يشترك في الاسم الأول مع قائد الجيش الثاني سعد مأمون ومن ثم يُصبح سعد خليل.

وقل مثل هذا في كثير من الوظائف التي يصف بها أبو الغيط أصحابها في ١٩٧٣ بينما كانت هي وظيفتهم في ١٩٦٣ وكانوا قد أصبحوا في وظيفة أخرى في ١٩٧٣ كمثل الدكتور محمود فوزي الذي كان نائبا لرئيس الجمهورية (١٩٧٢ - ١٩٧٤) بينما تحدث عنه أبو الغيط على أنه وزير الخارجية بينما كان قد ترك هذا المنصب منذ ١٩٦٤، وقل من مثل هذا كثيرا جدا مما لا يليق بمكانة صاحب هذه المذكرات .

المحتويات

٥	هذا الكتاب
٩	الباب الأول : العسكريون والدبلوماسية
٩	الفصل الأول : تصورات القيادات العسكرية للسياسة الخارجية
١٠	نُصادق من يصادقنا ونُعادي من يعاديننا
١٠	ثنائية التقدمية والرجعية
١٠	التخفي في إظهار انتمائنا للإسلام
١٠	العداء الفطري للزعامات الوطنية
١١	الفصل بين المذاهب والدولة
١١	شراء الإعلاميين لا الإعلام
١١	قلب مهمة السفراء الأجانب
١١	توظيف المراسلين الأجانب كعملاء
١٢	الفصل الثاني : العسكريون و المناصب الدبلوماسية
١٢	أبو الثوار الذي عين سفيرا في موسكو
١٢	عضو مجلس قيادة الثورة
١٢	العسكريان اللذان توليا قيادة الخارجية ثم أصبحا سفراء
١٢	الأربعة الأوائل الذين بدأ بهم تعيين القادة سفراء
١٢	العسكريون السفراء الذين بدأوا من وظيفة السفير مباشرة
١٢	العسكريون الذين تولوا الوزارة ثم أصبحوا سفراء
١٣	كبار القادة الذين خرجوا من القيادة الكبرى لمنصب السفارة
١٣	الضباط الأحرار الذين عينوا سفراء
١٣	قادة المخابرات الذين عينوا سفراء
١٤	العسكريون الذين بدأوا من درجات دبلوماسية متعددة
١٤	العسكريون الذين بدأوا من أول السلك الدبلوماسي
١٤	عسكريون سفراء
١٥	الباب الثاني : الأكاديمي في رحاب العسكريين
١٥	الفصل الثالث : طريق مصر إلي القدس مذكرات بطرس غالي

- ١٥-----الجمع بين أسلوب مرشد القافلة و الحادي
- ١٦-----عبارات مركزة ومشعة بالتعبير
- ١٦-----يقراً الأحداث متباعدة ولا يستعمل الحكمة بأثر رجعي
- ١٦-----وصفه الممتع لمراسم تشييع جثمان البابا في إيطاليا
- ١٧-----بطرس يطالعنا بصورة ابن الإنسان
- ١٧-----لا يقع في شرك التعالي علي الأحداث
- ١٨-----النجاة من التنظير ومن روح التنظير
- ١٨-----يقدم الآراء السياسية في نعومة شديدة
- ١٨-----معتقداته تجاه النظم السياسية والاجتماعية التي تحكم العالم
- ١٩-----نقدنا لاعتقاده في أهمية الانتماء الفرانكفوني
- ١٩-----يفرق بين السادات وعبد الناصر باللجوء الى نموذج قيصر
- ٢٠-----حرصه على انتقاد الإدارة المصرية في ضعف اتصالاتها
- ٢٠-----يعرف اتفاقات الشاه والرئيس السادات من السفير الإيراني
- ٢١-----شهور لإصلاح الكرسي الذي انهار عندما جلس عليه زعيم زيمبابوي
- ٢١-----أهدى الملك البلجيكي تمثالا فرعونيا لا يعرف عنه شيئا
- ٢١-----ذكرياته عن اغتيال يوسف السباعي ثم أبطال الصاعقة المصريين
- ٢٢-----كان يظن السبب ارتجالا لكنه فهم فيما بعد حقائق أخرى
- ٢٢-----موقفه من تاريخ جده بطرس غالي باشا يتسم بالغرابة
- ٢٢-----اللجوء إلى التعبير بقوله : كان يقال لي
- ٢٣-----ذكرى رحلة والدته للحج إلى القدس
- ٢٣-----يقع في خطأ تسمية الإشراف الإداري علي قطاع غزة احتلالا
- ٢٣-----يرى أن السادات كرجل عسكري كان يشعر بنفور طبيعي تجاه ديان
- ٢٤-----يقدر موقف محمد إبراهيم كامل مع تحفظه علي عصبية
- ٢٤-----حرص د. مصطفى خليل علي سد ذرائع الفساد المالي
- ٢٥-----معارضة ابن عمه إبراهيم أمين غالي لمعاهدة السلام
- ٢٦-----أهم فقرة في هذا الكتاب هي نصيحة الدكتور عبد الله العريان
- ٢٦-----السادات يعبر تعبيراً شبيها بتعبير الدكتور عبد الله العريان
- ٢٧-----يعترف بفهمه لطرفي المعادلة بعد شرح السادات
- ٢٧-----الأوصاف السريعة التي يقدم بها أعلام عصره
- ٢٨-----الرئيس أنور السادات
- ٢٨-----الرئيس حسني مبارك
- ٢٨-----ممدوح سالم
- ٢٨-----المشير محمد عبد الغني الجمسي
- ٢٨-----محمد إبراهيم كامل
- ٢٩-----جيهان السادات
- ٢٩-----د. مصطفى خليل

٢٩	الدكتور عصمت عبد المجيد
٢٩	عمرو موسى
٢٩	الدكتور أسامة الباز
٢٩	موسي صبري
٢٩	الشهيد يوسف السباعي
٣٠	الدكتور مصطفى كمال حلمي
٣٠	الدكتور جمال العطيفي
٣٠	الفريق أول كمال حسن علي
٣٠	الدكتور أحمد صدقي الدجاني
٣٠	اللواء محمد النبوي إسماعيل
٣٠	يخطئ في عدد المرات التي أدي فيها اليمين الوزارية
٣٢	الدقة التاريخية تميز الكتاب لكنه لا يخلو من هنات
٣٤	بعض الملاحظات اللغوية
٣٥	الباب الثالث : عسكري في رحاب الدبلوماسية
٣٥	الفصل الرابع : مذكرات السفير صلاح شعراوي
٣٥	تدرجه في السلك الدبلوماسي
٣٥	ضياح الدولة التي عين سفيرا لمصر فيها
٣٦	الفقرة التي انفرد بها مبكرا والتي تفسر موقف اشرف مروان
٣٧	الزيارة المربية من أشرف مروان وعمله ضد وطنه
٣٧	استياء أحمد ماهر من الإسراع بوقف اطلاق النار
٣٧	حافظ إسماعيل يحاول تطويق توجهات أشرف مروان
٣٧	قلق الدبلوماسيين وحافظ إسماعيل يقول له إن هناك عيالا في البلد
٣٨	الانفراد الثاني : موقف محير للسوفييتي في بداية الحرب
٣٨	قصة البرقية السوفييتية الغامضة
٣٩	شعور مكتب الأمن القومي قبيل حرب أكتوبر
٣٩	الإحساس بالنشوة البالغة مع الفرحة بالعبور
٤٠	تعبير مذهل في جماله : أنفاسنا محبوسة لسبع سنوات
٤٠	جهوده في الاتحاد السوفييتي : الفشل في تطوير العلاقات
٤٠	انتباه السوفييت المبكر لعيوب قوانين العمل المصرية
٤١	دعوته للقاء مفاجئ مع كوسيجين
٤٢	كوسيجين يخبره بالموافقة على تزويد مصر بالقمح
٤٣	كوسيجين يصف القمح بأنه من لحم الاتحاد السوفييتي الحي
٤٣	صلاح شعراوي يتحدث بلا اهتمام عن إهداء عبد الناصر الآثار
٤٣	اهتمام السوفييت بتلبية طلبات مصر الاستراتيجية

- ٤٤-----السوفييت يساعدوننا بما ندفعه من تعويضات لليونان والإيطاليين
- ٤٤-----زيارة القيسوني إلى موسكو وحصوله على البترول الروسي لمصر
- ٤٤-----المذكرات تنتقد خفة الوزراء المصريين في مايو ١٩٦٦
- ٤٥-----قائمة طلبات مصر في حقيبة سفر كبيرة
- ٤٦-----الوزير لم يعرف الهدف من زيارته
- ٤٦-----تقييم صلاح شعراوي للعلاقات العسكرية مع الاتحاد السوفيتي
- ٤٦-----حديثه الصريح عن انعدام الثقة بين مصر والسوفييت
- ٤٧-----القيادة السوفيتية لم تدرك ما طرأ على القوات المسلحة من تغيير
- ٤٨-----حديثه عن موقف موسكو من إرهابات حرب ١٩٦٧
- ٤٨-----عرضه لزيارة شمس بدران الشهيرة
- ٤٩-----إعلان الرئيس عبد الناصر أن الاتحاد السوفيتي سوف يحارب معنا
- ٥٠-----الضغط العصبي الشديد الذي واجهته سفارتنا في موسكو
- ٥٠-----كيف عرف بقيام الحرب في ٥ يونيو
- ٥١-----تصوير مشاعر الترقب في السفارة نتيجة لسماع خبر نشوب الحرب
- ٥١-----حواره المثير مع السفير مراد غالب و مصارحته السفير بمخاوفه
- ٥٢-----استنتاجه أن المعارك ليست بين طائرات وطائرات
- ٥٢-----السفير يلزم حجرته بعد عودته من لقاء رئيس الوزراء
- ٥٢-----وصفه لاهتراء الاتصالات بين سامي شرف و سفارتنا في موسكو
- ٥٣-----ما يرويه عن حوار بين السفير وسامي شرف
- ٥٣-----ما رواه رئيس الوزراء السوفييتي للسفير المصري
- ٥٤-----أدواره في قبرص واليونان
- ٥٤-----صلاح شعراوي لم ينتبه إلى تخوف القبارصة من سياسة مصر
- ٥٤-----الخارجية اليونانية تطلب منه الكف عن المطالبة بضم قبرص لليونان
- ٥٥-----الرسالة موجهة للمصريين لا للقبارصة
- ٥٥-----اليونان تؤلب مصر على مكاريوس
- ٥٦-----دهشته من أن الرئيس عبد الناصر لم يتحمس لتهنئة مكاريوس بنجاته
- ٥٦-----نبيل المالك التركي نجاتي منير مع مبنى القنصلية المصرية
- ٥٧-----علاقاته الشخصية مع الشخصيات المحبة لمصر وعبد الناصر
- ٥٧-----يمارس لعبة الطاولة مع د. كونجوك النائب التركي لرئيس الجمهورية
- ٥٨-----تعطيل وصول شخصية قبرصية موالية لإسرائيل لمقعد وزير الخارجية
- ٥٨-----قصة أحد الانقلابات على مكاريوس ودوره في التصدي لهذا الانقلاب
- ٥٩-----تحركاته ليلة انقلاب ١٩٧٢ على مكاريوس
- ٦٠-----مصر تقدم المعونة الأمنية للأسقف مكاريوس
- ٦١-----الرئيس السادات أهدى مكاريوس سيارة محصنة ضد الرصاص
- ٦١-----إخلاء الأسقف مكاريوس لمصر ومحبه لها
- ٦١-----توثيق العلاقات المصرية تحقق على يد "بنات البلد" دون سعي منه

- ٦٢----- قصة اغتيال ممثل منظمة التحرير الفلسطينية
- ٦٣----- موقفه من اشتعال مشاعر العرب الفلسطينيين
- ٦٣----- محاولاته لتهدئة الفلسطينيين و تهدئة الحملة عليهم
- ٦٤----- معالجة المعقبات
- ٦٤----- رؤيته للهجرة العكسية أو العودة لليونان على أنها هجرة مطلقة
- ٦٥----- الملك اليوناني كان متحفظًا تمامًا على علاقته بالرئيس عبد الناصر
- ٦٦----- نجاح زيارة الرئيس عبد الناصر لليونان بفضل شعبيته فيها
- ٦٦----- السفير اليوناني يشيع ان عبد الناصر زار اليونان ليشكرها
- ٦٦----- خبراته في إفريقيا
- ٦٦----- الزعيم الغاني يكلفه وهو في موسكو بنقل رسالة للرئيس عبد الناصر
- ٦٧----- إشارته إلى أن العلاقات المصرية الإفريقية كانت حافلة بالتوترات
- ٦٧----- نجاح الدكتور محمود فوزي في إقحام وزير خارجية سيراليون
- ٦٧----- الموقف القوي من قرار إبعاد محمد فائق من الصومال
- ٦٨----- القصص لما حدث في نيروبي مع عبد العزيز إسحاق
- ٦٩----- تجربته في المكسيك
- ٦٩----- السفراء العرب لا يرغبون مشاركته الاحتفال بالعيد
- ٧٠----- تخوفه في المكسيك من المفاجآت بعد زيارة السادات للقدس
- ٧٠----- خبرته بمعاونة المكسيك من جارتها المزعجة : الولايات المتحدة الأمريكية
- ٧١----- تجربته في أوروبا الغربية
- ٧١----- المشاعر السويسرية بالانحياز للدول الصغيرة
- ٧٢----- التزام الهولنديين بعدم التحدث بالألمانية كراهية لناطقيها
- ٧٣----- السبب في شدة عداة هولندا لمصر بعد ١٩٥٦
- ٧٣----- حرصه على الحديث عن تخلف الإعلام المصري في أوروبا
- ٧٤----- دروس من هولندية محبة لمصر: مسز فولتشر
- ٧٤----- نموذج للحملات على الرئيس عبد الناصر
- ٧٥----- تأثر رأيه في الاعلام المصري بتجربته الميدانية
- ٧٥----- هولندي يصارحه بأنهم نهبوا خيرات إندونيسيا ٣٠٠ عاما
- ٧٥----- خبرات عامة
- ٧٥----- السفير عوض القوني لم يستطع إعلان قبول مصر لوقف إطلاق النار
- ٧٦----- نموذج لقوة الشعور بالانتماء العروبي عند السفراء العرب
- ٧٧----- تكليفه بإبعاد ثمانية من أعضاء السفارة العراقية في القاهرة
- ٧٨----- السلك الدبلوماسي يوظف نفسه لخدمة المسئولين المصريين
- ٧٨----- صورة نابضة بالحياة للصراع بين المشير والرئيس عبد الناصر
- ٨٠----- حافظ إسماعيل يصرح له بسبب انتقاله إلى الخارجية
- ٨١----- الباب الرابع : عسكري سابق في مهمة دبلوماسية

٨١	الفصل الخامس : ذكريات أحمد حمروش عن الانقلاب السوداني
٨١	اليساريون كاليمينيين لا يعتنون بروايات الأستاذ حمروش
٨١	فكرة انقلاب ١٩٧١
٨٢	حمروش يعرض خدماته
٨٢	يتحدث عن المستقبل الذي أصبح ماضيا لا مستقبل له
٨٣	البيان الأول الذي لم يذكر اسم مصر
٨٣	الزمن توقف بالأستاذ حمروش
٨٤	كيف عرف حمروش بالخبر؟
٨٤	خلفيات علاقته القديمة
٨٤	استعداد عبد الناصر لوقف الحرب من أجل دعم انقلاب النميري
٨٥	تصوير فرحة الرئيس عبد الناصر بانقلاب النميري
٨٥	خلافات النميري و عبد الخالق المحجوب
٨٥	دور عبد الناصر في الصلح بين الزعيمين
٨٦	قصة ابعاد هاشم العطا
٨٦	بيان انقلاب ١٩٧١ الأول
٨٦	حمروش يتصل بتليفون مكتب سامي شرف
٨٧	الرئاسة تكلفه بالسفر
٨٧	الترخيص للطيارة بالنزول
٨٨	اللقاء مع هاشم العطا
٨٨	جولة في الخرطوم
٨٨	مجلس قيادة الثورة الجديدة
٨٩	لقاء الظهر
٨٩	لقاء مع عبد الخالق محجوب ومرافقته للمطار
٩٠	لقاء مع الرئيس السادات في القناطر
٩٠	السادات يفاجئهم بالحقيقة المرة
٩١	اجترار المقارنات
٩١	السادات يطلبه للقاء آخر
٩٢	الفراق بينه وبين السادات
٩٢	موقف القذافي و الفريق صادق
٩٢	تصنيف حمروش بأن مصر أصبحت كسوريا و ليبيا أقل تقدمة
٩٣	نقده موقف الصحافة المصرية مما حدث للشيوعيين في الخرطوم
٩٣	السوفييت يفرملون نميري
٩٣	حمروش ينقل رواية الكاتب الصحفي إيريك رولو
٩٤	رولو يكشف موقف الانقلاب ضد اتحاد الجمهوريات
٩٤	رولو يروي تفاصيل اسقاط الانقلاب

٩٥	الباب الخامس : نصوص الدبلوماسيين حين يتحسبون
٩٥	الفصل السادس : مذكرات عمرو موسى
٩٥	قليل من الاهتراء وبعض من الافتراء
٩٦	قصة بدلة فاخرة [تشوّهت] بهذه الأختام
٩٦	النسيج الأصلي واضح، والختم المُقحم واضح أيضاً
٩٦	نماذج من الاهتراء
٩٧	محمد رياض وزير الدولة الذي تاه منه ذكره
٩٧	فريق المذكرات لم يعرف طريقاً يعرفه صاحبها
٩٨	إغفال ذكر وزير الدولة محمد فائق كأنه لا يعرفه
٩٨	لا يعرف أحمد خيرت سعيد أول نائب لوزير الخارجية
٩٨	سردياته عما بعد ١٩٥٢ أضعف من سردياته عما قبلها
١٠٠	الفصل السابع : مذكرات السفير أحمد أبو الغيط
١٠٠	عازف لكنه لا يصنع الالحن
١٠٠	الاكتفاء
١٠٠	إجهاض الاحلام
١٠١	الاستجابة للغواية
١٠١	أفضل من يمثل ظاهرة خاصة به
١٠١	بدايته أقوى بكثير من نهايته
١٠٢	شوش على الشاب الواعد أحمد بأحمد الشيخ القاعد
١٠٢	رأي محمد إبراهيم كامل
١٠٣	اسمه يتردد
١٠٤	اختار أن يعزف على الساكسفون
١٠٤	قُدرة فائقة على الإنصاف حين يُريد أن يُنصف

Prof. Mohamed El Gawady

ISIN : 0000 0001 2122 604X

Egyptian Foreign Policy

in Officers Era (1952-2011)





الدكتور محمد الجوادى

نقدم في هذا الكتاب قراءة متأنية لبعض ملامح السياسة الخارجية المصرية في عهد 23 يوليو من خلال نصوص مهمة صورت أحداثا محددة وكثفت الضوء على سياقات مهمة لهذه السياسة بعيداً عن المداخل النظرية والمدخلات المتعمدة، أو المرسومة سلفاً، وهي إذاً قراءة في روايات وتصورات وتحليلات تتناول جزئيات من جوانب السياسة الخارجية على نحو مباشر أو غير مباشر، لكنها تبين في النهاية عن طبيعة الأداء المصري في هذه السياسة في ذلك العصر، كما أنها محاولة في قراءة ما وراء السطور وما بينها من المعاني والدلالات التي هي أقرب ما تكون إلى تصوير غير مباشر، وإلى تحليل، كيميائي أو مناعي، يرسم طبيعة النتيجة ويفسرها في ضوء طبيعة المقدمات. وهكذا فإن كتابنا هذا يناقش حيثيات مختلفة في التعبير والتأويل، بعضها حفظ بالتبريد وبعضها حفظ بالتقييد، فهكذا كان القدامى يسمون ما نسميه الآن التسجيل والتوثيق، وهم يقصدون تحويل النصوص الشفاهية إلى نصوص مكتوبة قابلة للحفظ على مدى الزمن، وكانهم قد قيدوها حتى لا تضيع أو تطير أو تتطاير

